دراسة تحليلية للتفسير

فى ظلال القرآن

بحث مقدم للحصول على شهادة ايم - فل

إعداد و تقديم

شمشاد حسين

تحت إشراف

فضيلة الأستاذ محمد اسلم الاصلاحى

مركز الدراسات العربية والافريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

بجامعة جواهر لال نهرو، دلهى الجديدة

ANALYTICAL STUDY OF QURANIC EXEGESIS "FI ZILALIL-QURAN"

Dissertation submitted to the Jawaharlal Nehru University
in partial fulfilment of the requirements
for the award of the Degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

SHAMSHAD HUSAIN

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi -110067
2000

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली–110067

Dated: 21.7.2000

DECLARATION

I declare that the material in this dissertation entitled "Analytical study of Quranic Exegesis "Fi Zilalil-Quran" submitted by me is original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or other university/institution.

20.07.2K
Shamshad Husain
Name of the Scholar

Prof. M. A. Islahi
Supervisor

Prof. S. A. Rahman
Chairperson
CAAS/SLL&CS

الإهداء

إلى

أمي مع الدعاء من الله تعالى أن يتغمدها في أوسع رحمته

مقدمة البحث

المقدمة

نحمده و نصلى على رسوله الكريم. امابعد !

لاريب فى أن القرآن الكريم يخاطب قبل كل شيئ الفكرة الإنسانية و يتقدم إليها الدلائل والإيحاء اث الحية المتوفره حولها و هكذا يطهر هذا الكتاب قلوب الإنسان و ينقذ فطرته من القذارة و الدناءةكما يحرك وظائفه المعطلة و يفتح منافذ الروح الإنسانى لتلقى الموحيات العليا. ففى ضوء التعاليم القرآنية يصلح الإنسان أموره و ذاته والمجتمع الذى يعيش فيه بصفة عامة . و يبنى عقيدة قوية فعالة تزيل رواسب الجاهلية من ضميره و أخلاقه و مجتمعه و تعده لمعركة حاسمة مع الشرك و جميع أنواعه المنتشرة فى المجتمع و من هنا يستعد الفرد و الجماعة لمواجهة الجاهلية فى جميع أشكالها.

و اذا نمعن النظر فى تفسير سيد قطب من هذه الناحية نجده تفيسرا قيما يخاطب مشاعر الإنسان و أحاسيسه مستخدما أسلوبا أدبيا رفيعا و يعرض على القارئ اتجاهات جديدة عملية للتفكير - ا تجاهات لا تنكشف لأحد إلا بفضل رغبة شديدة فى القرآن و فهمه العميق المشتاق بسبب احتياجه الشديد لمعرفة الحق و متطلباته .

تفسير سيد قطب تفسير يحرك مشاعر الإنسان و ينشط قلبه و يناديه لينال القوة من هذا المصدر الربانى الدائم. و مع هذا كله يعالج مشاكل الحياة البشرية فى العصر الحاضر. فهذا التفسير يعتنى بقضايا الإنسان بزماننا هذا و يوفر له ما يريد منه ربه فى الحياة . و هذا التفسير تفسير منعش

يملأ القلوب من الآمال و يعد الإنسان لمواجهة الباطل و حماية الحق فى جميع الأحوال والأوضاع - تفسير دعوى دليل للدعاة - فكرى يدرك طبيعة الدين و روحه -تفسير أدبى يجذب إليه ذهن القارى و فكرته وينقل إلى القارى ما يختلج فى صدر المفسر من مفاهيم القرآن الهامة و من تعاليمه الحية ورسالته الدائمة التى جاء بها رسول الله ﷺ إلى هذا الكوكب الأرضى.

و بناء ا على هذا كله لقد نال هذا التفسير قبولا واسعا فى الحلقات العلمية و الأدبية والدينية للعالم العربى الكبير وتأثر به عدد كبير من الناس و خاصة النشأ الجديد و ذلك لأن سيد قطب قد اختار منهجا جديدا لتفسيره لكى يدحض الشبهات و الشكوك التى تعثر أذهان الجيل الجديد وتنفرها من التعاليم الإسلامية السمحاء . ولقد نجح سيد قطب فى تحقيق مطامحه هذه فوجد الجيل الحديث من المسلمين تفسيره أقرب إلى الروح القرآنى و الذهن الإنسانى الجديد .

فنظرا لهذه الأهمية للتفسير المذكور اخترته موضوعا للبحث لنيل الشهادة ماقبل الدكتوراة و عنونته " دراسة تحليلية للتفسير فى ظلال القرآن" .

ولست من السابقين الأولين فى هذا المضمار و قد كتب إلى الآن كثير ا عن سيد قطب و عن آثاره العلمية والأدبية والإسلامية . و على أية حال فلما عقدت العزم على كتابة مقالتى حول هذا الموضوع رجعت إلى أعضاء أقسام اللغة العربية فى الجامعات المختلفة للهند ملتمسا منهم أن يخبرونى بما اذا قام واحد من طلاب جامعتهم بكتابة بحث حول هذا الموضوع فلم أجد أى رد منه. وكذلك حاولت أن أجد على شبكة انترنيت. إلا أن جهدى لم يتكلل بالنجاح. وبعدئذ كتبت إلى صديقى الدارس بجامعة

الإمام محمد ابن سعود رياض. فبحث هو عن هذا الموضوع و أرسل الى قائمة كتب ألفت عن حياة سيد قطب و آثاره الأدبية فى العالم العربى. وحسب هذه القائمة الأبحاث التالية قدمت حتى الآن فى الجامعات المختلفة فى العالم .

☆ قدمت سميرة فياض رسالتها للدكتوراة تحت عنوان ''سيد قطب فكره و أدبه'' فى جامعة مانشستر فى بريطانيا و ذلك فى عام ١٩٧٧م.

☆ مهدى فضل الله قدم رسالته للدكتوراة فى الجامعة السولون (باريس) فى قسم الفلسفة تحت عنوان ''مع سيد قطب فى فكره السياسى و الدينى'' وذلك فى عام ١٩٧٨م.

☆ قدم رسالتا الماجيستر عن سيد قطب الأولى : رسالة صلاح دجلور المعنونة ''سيد قطب و التصوير الفنى فى القرآن'' قدمها الباحث المذكور فى كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود. والأخرى : رسالة اسماعيل الحاج أمين بعنوان ''سيد قطب و منهجه فى التفسير'' قدمها الباحث المذكور فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف.

☆ قدم صلاح دجلور رسالته لنيل الشهادة الدكتوراة من جامعة الإمام محمد بن سعود تحت عنوان ''الإتجاهات فى تفسير سيد قطب'' .

☆ إبراهيم عبد الرحمن البليهى قدم حاليا رسالته للدكتوراة تحت إشراف مناع القطان بعنوان ''سيد قطب و تراثه الفكرى والأدبى'' فى كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود .

و قد علمت قبل شهرين أن طالبا يكتب بحثا فى جامعة 'لوبرو' ليستر (بريطانيا) بعنوان ''ظهور داعية إسلامى والتطور الفكرى عند سيد قطب'' .

و فى سياق هذه التطورات لا حظت أن دراسة عن تفسير سيد قطب لاتخلو من الفائدة فى الهند. و لتحقيق هذا الهدف قسمت مقالتى إلى ثلاثة

أبواب .الباب الأول يحتوى على تاريخ تفسير القرآن بوجه عام. والثانى ينطوى على سيرة سيد قطب الذاتية مع إلقاء الضوء على بعض آثاره الرائعة و اعماله. والباب الثالث يشتمل على دراسة شاملة تحليلية عن التفسير ''فى ظلال القرآن''. و هذه الأبواب كلها ينقسم إلى فصول عديدة و مباحث صغيرة .

الباب الأول يتضمن تاريخا مؤجزا عن فن التفسير و هو يتعلق بالموضوع مباشرة . و فى هذا الباب استعرضت تدريجيا تاريخ التفسير حتى أيا منا هذه و ما قام به المفسرون من الأعمال الرائعة فى مجال التفسير و فى هذا الصدد جئت بذكر الباحثين و كبار المفسرين وأشهر تفاسيرهم منذ بدأت كتابة التسفير وأخيرا وصلت إلى نتيجة أن القرن العشرين قرن هام من ناحية كتابتهم فن التفسير لأن فى هذا القرن فتحت آفاق جديدة و اتجاهات متنوعة مختلفة . و هكذا لقى هذا الفن حياة جديدة بحيث اصبح القرآن فى هذا الزمن وثيقة الصلة بالحياة الإنسانية الحديثة. و هذا التطور فى نظرى ذو أهمية كبرى .

كتبت الباب الثانى ''حياة سيد قطب و اعماله'' اعتقادا أن البحث لايكتمل بدون المعرفة عن الأوضاع و الظروف التى نشأ و ترعرع فيها سيد قطب و خلف وارء ه آثاره العلمية والأدبية.

و مع التطورات كلها فى العصر الحديث نجد أن الشبهات والشكوك حول القرآن والإسلام قد ازدادت فى هذاالقرن. إلا أن العلماء الكبار قاموا بدحضها و بطلانها وسيد قطب يحتل مكانة الصدارة فى صفوف هؤلاء العلماء الكبار لأنه لم يدخر أى جهد للرد على الأقاويل الباطلة لأعداء الإسلام والمسلمين.

ولاريب فى أنه ألف تفسيره 'فى ظلال القرآن' تحقيقا لهذا الهدف

النبيل . فبفضله نرى الآن حركة إسلامية فى العالم العربى كله و فى الدول الإسلامية الأخرى و هذه الحركة تتمحور بصفة عامة حول تفسيره القيم 'فى ظلال القرآن' . فجزاء الله خير الجزاء لهذا العمل الجليل .

و أخيرا أود أن اعبر عن مشاعر ى الصالحة و عواطفى الطيبة تجاه الأستاذ محمد أسلم الإصلاحى الذى قام بالإشراف على مقالتى هذه . فأشكره من صميم قلبى على ما وجدت من قبله من الشفقة والإرشاد والمساعدة عند ما احتجت إليها. و ليست لدى كلمات كافية لإظهار عواطف الشكر و الدعاء له. فجزاء الله أحسن الجزاء. (آمين)

وأشكر الأخ محى الدين غازى سبحانى الذى مد إلى يد العون والمساعدة فى إعداد هذا البحث - و قد عاد متأخرا من المملكة العربية السعودية بعد تكميل دراسته : وهو الذى وفر لى معظم المعلومات التى حصلت عليها من البحوث المتواجدة فى الجامعات المختلفة بالمملكة العربية السعودية . فجزاء الله أحسن الجزاء و زاده علما و تفقها فى الدين و يتقبله لخدمة دينه الحنيف . آمين

و أخيرا و ليس بآخر أدعوا الله تعالى أن ينال هذا البحث قبولا لديه و لديكم و جعله لى من أسباب الخير و البركة . آمين

العبد الفقير إلى الله

٢٠٠٠/٧/٢٠م

شمشاد حسين
مركز الدراسات العربية و الأفريقية
مدرسة دراسات اللغة و الأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو ، دلهى الجديدة

الباب الأول

تاريخ تفسير القرآن

الفصل الأول

فى تعريف التفسير و نشآته

تعريف التفسيرو نشأته

التفسير فى الاصطلاح اللغوى يطلق عادة على الايضاح والتبيين .

وأما فى الاصطلاح الفنى فتتضارب حوله آراء العلماء والباحثين و بالتالى نجدله فى الكتب العلمية تعريف متعددة متقاربة فى المعنى والغاية و سنذكر هنا بعضا منها :

١. علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. ١

٢. علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله و سنده و أدائه و الفاظه و معانيه المتعلقة بالالفاظ والمتعلقة بالاحكام. ٢

٣. علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن و مدلولاتها و أحكامها الافرادية والتركيبية و معانيها التى تحمل عليها حال التركيب و غير ذلك كمعرفة النسخ و سبب النزول و مابه توضيح المقام كالقصة و المثل .٣

يقول العلامة الزرقانى بعد نقل التعريفات المذكورة أعلاه:

"وهذا تعريف و سط بين التعريفين و من السهل روجوعه إلى التعريف الأول لأنا ماذكر هنا بالتفصيل". ٤

بعد هذا كله يليق بنا أن نقوم بذكر فضائل هذا العلم فاولا الخص مـ كتبه العلامة السيوطى بخصوص هذا العلم فهو يقول :

"أن صناعة التفسير قد حازت الشرف والفضل لجهات ثلاثة التالية."

---

١ ـ مناهل العرفان ـ للزرقانى المجلد الثانى ص ٤

٢ ـ المرجع السابق ص ٥

٣ ـ الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ص ٦

٤ ـ مناهل العرفان المجلد الثانى ص٦

جهة الموضوع لأن موضوعه كلام الله تعالى.....

جهة الغرض لأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التى لاتزول و لا تفنى.

جهة شدة الحاجة لأن كل كمال دينى أو دنيوى عاجل أو آجل مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية و هي متوفقة على العلم بكتاب الله تعالى.١

نشأة التفسير

يرجع تاريخ نشأة هذا العلم إلى وقت نزول القرآن حيث كان رسول ﷺ يبين و يفسر نصوصه التى تقتضى البيان و التفسير .

ثم جاء عهد الصحابة فكانوا مع الرواية لتفسير الرسول ﷺ .كانت لهم آراء تفسيرية و مدراس فى التفسير كمدرسة ابن عباسؓ.

ثم يليه عهد التابعين وفى هذاالعهد إزدادت العناية بالتفسير كما كثر عدد المفسرين في الأقطار المختلفة.

إلا أن تدوين هذا العلم قد جاء إلى حيز الوجود فى عصر اتباع التابعين حيث جمعت الأقوال التفسيرية فى صورة كتاب مستقل و فى هذا الصدد يقول العلامة السيوطى :

"ثم ألف فى التفسير خلائق فاختصروا الاسانيد و نقلوا الأقوال النثرى فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ثم صار كل من يسخ له قول يورده و من يخطر بباله شيئ يعتمده ثم ينتقل ذلك عنه إلى من يجئ بعده ظانا أن له أصلا غير ملتفت إلى تحرير ماورد عن السلف الصالح و من يرجع إليهم في التفسير.

ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في العلوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذى يغلب عليه".١

١ـ الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ص ٥٢٤

إن الصورة التى تظهر في ضوء ما قاله السيوطي صورة قد لاتطابق الواقع بحيث أنها تصور الواقع كأن حركة التفسير خمدت أو انحرفت بعد القرون الأولى . و لعله نظر إلى ذلك بمعيار التفسير بالمأثور .

و في الصفحات التالية ستكون الصورة واضحة أكثر .

١ـ الإتقان فى علوم القرآن ص ٥٢٧ـ٥٢٨

الفصل الثانى

التفسير فى العهد الإسلامى الأول

هذا العهد يشتمل أصحاب الرسول الذين اشتغلوا بعلم التفسير و الحقيقة كان جماهير الناس في ذلك الزمن علي علم بمعانى القرآن. حي نهلوا من منهل الرسول ﷺ و صفاء فطرتهم و سلامة ذوقهم و سعة معرفت باللغة العربية كانت تكفيهم مؤونة التفسير والاستفسار في كثير الأحيان.

إلا أن قليلا منهم نالوا شهرة واسعة فيقول العلامة السيوطى:

"اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة و ابن مسعود و ابن عباس و أبي بن كعب و زيد ثابت و أبو موسى الأشعرى وعبدالله بن الزبير رضى الله عنهم جميعاً . أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن طالب ؓ والرواية عن الثلاثة قليلة جدا وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم". ١

زاد العلامة الزرقانى بعض الأسماء علي هذه القائمة قائلا :

"و قد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء العشرة شيئ من التفسير بيد أنه قليل منهم أنس و أبو هريرة و ابن عمر و جابر و عمرو بن العاص و عائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم أجمعين". ٢

إلا أن أكثر الصحابة تفسيرا على الاطلاق هو عبدالله بن عباس كان قد حصل على شهادة من الرسول ﷺ اذ لقيه بكلمة "ترجم القرآن".

"روي عن مجاهد قال قال ابن عباس قال لي رسول الله ﷺ نعم ترجمان القرآن أنت". ٣

وبالرغم منه أن ما أثر عن ابن عباس ؓ فى التفسير قد جرت د دراسات لقيمته العلمية و الفنية كما يتبلور من الاقوال المذكورة أ

١ـ الإتقان فى علوم القرآن ص ٥٢٥

٢ـ مناهل العرفان المجلدالثانى ص ١٩

٣ـ البخارى كتاب الوضوء الباب العاشر

فيقول تلميذ ابن عباسؓ و هو مجاهد : ''انه اذا فسر الشيئ رأيت عليه النور'' كما يقول عليؓ في تفسيره :

''كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق''. و يقول ابن عمر بهذا الشأن ''ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد و من رجوع بعص الصحابة و كثى رمن التابعين إليه في فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله''. ٤

١ـ التفسير والمسرون لدكتور ممد حسين حسن الذهبى المجلد الاول ص ٦٩ـ٧٠

الفصل الثالث

التفسير فى العهد الأموى

التفسير في عهد الأموي

في العهد الأموي انتشر علماء التفسير في جميع أقطار العالم الإسلامي حاملين لواء القرآن. إلا أن مراكز ثلاثة في التفسير قد اشتهرت لكونها مرجعاً لطلاب العلم. و لكونها ملتقى لعدد كبير من أشهر المفسرين آنذاك. و من هذه المراكز :

١) مركز التفسير في مكة المكرمة.

٢) مركز التفسير في المدينة المنورة.

٣) مركز التفسير في العراق .

قال ابن تيمية :

"أعلم الناس بالتفسير اهل مكة لأنهم أصحاب بن عباس كمجاهد و عطاء بن رباح و عكرمة مولى ابن عباس و سعيد بن جبير و طاؤوس و غيرهم" .١

والذين اشتهروا من المركز المدينة : زيد بن أسلم ، أبو العالية، محمد بن كعب القرظى.

و أهم أساتذة المركز العراقي : مسروق بن الأجدع و قتادة بن دعامة، أبو سعيد الحسن البصري و عطاء بن أبى مسلم الخراساني و مرة الهمدانى.

فأكثر هؤلاء المفسرين من أعلام التابعين شهد بفضلهم العلماء المحققون؟

قال الثورى :

"خذوا التفسير عن أربعة:عن سعيد بن جبير و مجاهد و عكرمة والضحاك".٢

قال الشافعى :

"مابقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة". ٣

قال ابن عون:

١- مقدمة فى اصول التفسير لابن تيمية ص ٦١

٢- مناهل العرفان المجلد الثانى ص ٢٣

٣- المرجع السابق

"مارأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظى". ١

و جاء بعد التابعين طبقة أتباع التابعين و هؤلاء اكتفوا عموما بجمع أقوال الصحابة والتابعين مثل سفيان بن عيينة و وكيع بن الجراح و شعبة بن الحاج و يزيد بن هارون و عبدالرزاق و آدم بن أبى أياس وإسحاق بن راهويه و روح بن عبادة وغيرهم.

لم يتم و ايا كان الامر تدوين الاقوال التفسيريةحتى العهد الاموي . ففى العصر العباسى بدأت عملية التدوين على نطاق اوسع .

---

١ ـ مناهل العرفان المجلد الثانى ص ٢٤

الفصل الرابع

التفسير فى العهد العباسى

و من الممكن أن نقول أن العهد العباسى هو العهد الذهبى لتفسير القرآن حيث دونت و جمعت الأقوال المأثورة و جاء التفسير بالدراية مع التفسير بالرواية و تعددت جوانب التفسير و تنوعت اتجاهاته واتسعت آفاقه مع أن هذا الاتساع قد الحق التفسير ببعض الاضرار اذ ان هذا الاتساع قد فتح مجالا واسعا لاهل الاهواء و التعصب.

و فيما يلى نذكر أهم التفاسير و أشهرها التى صنفت فى العصر العباسى وهذا الذكر فى الحقيقة بمثابة غيض من فيض لان الاستقصاء ليس الغرض منه.

١. بقى بن مخلد القرطبى (المتوفي ٢٧٦ هـ)

يقول عنه العلامة الزرقانى نقلا عن ابن حزم :

"أقطع أنه لم يؤلف فى الاسلام مثل تفسيره لا تفسير ابن جرير ولا غيره". ١

٢. أبو جعفر بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)

يقول عنه العلامة السيوطي :

"وكتابه أجل التفاسير و أعظمها" و تكاد آراء العلماء الراسخين تجمع على أنه لم يؤلف فى التفسير مثله. ٢

ومن ميزات تفسيره :

أن في ذلك العهد كان الاكتفاء بمجرد جمع الأقوال و أما الطبري فكان يوجه الأقوال و يرجح بعضا على بعض و يذكر الاعراب و يستنبط الاحكام و هو ذخيرة للأبيات الشعرية التى يحتج بها في الاستشهاد . و قد أخذ عليه أنه جمع الصحيح و السقيم من الروايات و يجاب بأن من أسند فقد برئ.

٣. ابو الليث السمرقندى (٣٧٣ هـ)

١- مناهل العرفان المجلد الثانى ص ٣٥

٢- الاتقان فى علوم القرآن ص ٥٢٧

"تتبعت هذا التفسير فوجدت صاحبه يفسرالقرآن بالمأثورة عن السلف فيسوق الروايات عن الصحابة والتابعين و من بعدهم في التفسير و لكنه لا يذكر إسناده إلى من يروى عنهم ..... و بالجملة فالكتاب قيم في ذاته جمع فيه صاحبه بين التفسير بالرواية و التفسير بالدراية إلا أنه غلب الجانب النقلى فيه على الجانب العقلى" . ١

٤ . على بن احمد بن محمد الواحدى (٤٦٨ هـ)

و من أشهر مؤلفاته كتابه "اسباب النزول" اقتصر فيه على بيان أسباب النزول بالمأثور و هو من أعظم ما ألف في هذا الموضوع. ٢

٥ . محمود بن عمر الزمخشرى (٥٣٨ هـ)

يقول العلامة ابن خلدون و هو يتحدث عن معرفة اللغة والإعراب والبلاغة :

"و من أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشرى من أهل خوارزم بالعراق إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال فى العقائد فيأتى بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له فى آي القرآن من طرق البلاغة فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه و تحذير للجمهور من مكامنه مع اقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان و البلاغة" .٣

و فى الحقيقة كل من جاء بعده ممن عني ببلاغة القرآن استفاد منه حتى قال العلامة ابو حيان :

"أجل من صنف في علم التفسير و أفضل من تعرض للتنقيح فيه و التحرير ". ٤

و قد بين العلامة الزرقاني مايمتاز به الكشاف بالإيجاز كمايقول :

"منها خلو من الحشو و التطويل و منها سلامته من القصص و الاسرائيليات و

١ـ التفسير و المفسرون — الجلد الاول — ص ٢٢٠
٢ـ مناهل العرفان — المجلد الثانى — ص ٣٦
٣ـ مقدمة ابن خلدون — ص ٤٩١
٤ـ تفسير البحر المحيط لابى حيان الاندلسى — المجلد الاول — ص ١٣٣

منها اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب و أساليبهم و منها عنايته بعلمى المعانى و النكات البلاغية تحقيقا لوجوه الاعجاز ومنها سلوكه فيما يقصد ايضاحه طريق السؤال و الجواب كثيرا". ١

٦. ابو محمد عبدالحق بن ابى بكر بن عطية الغرناطي (٥٤٢ هـ)

الذى ألف تفسيره بعنوان المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".

يقول العلامة ابو حيان عن هذا لتفسير و عن الكشاف للزمخشرى:

" أجل من صنف في علم التفسير و أفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير ..... وكلامهما فيه يدل على تقدمهما في علوم من منثور و منظوم و منقول و مفهوم". ٢

ويستطرد قائلاً :

" وكتاب ابن عطية أنقل و أجمع و أخلص و كتاب الزمخشرى الخص و أغوص". ٣

و من الجدير بالذكر أن ابن عطية قد انتقد كثيرا فى تفسيره تفسير ابن جرير الطبرى.

٧. فخرالدين محمد بن عمر الرازى (٦٠٦ هـ)

و اسم تفسيره "مفاتيح الغيب". وهو تفسير يمثل التفسير بالرأى الجائز. وهو حقا موسوعة علمية تشمل التفسير وغيره. و مما يتميز به تفسيره هو اهتمامه الكبير ببيان المناسبات بين آيات القرآن و سوره.و كثرة استطراده للعلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية و عنايته الفائقة بالرد على المعتزلة و الذود عن مذهب اهل السنة. إلا أنه حسب قول بعض العلماء لم يكن موفقا فى هذا المضمار حتى قيل عنه " يورد الشبه نقدا و يحلها نسيئة" .و تركيزه على ذكرالأحكام الفقهية والاصولية و النحوية

١ـ مناهل العرفان المجلد الثانى ص ٧٧ـ٧٨

٢ـ البحر المحيط المجلد الاول ص ١٣٣

٣ـ المرجع السابق

والبلاغية.

حتى قيل عن تفسيره أن فيه كل شيئ إلا التفسير والحق أن فيه كل شيئ وفيه التفسير كمايقول العلامة الزرقانى :

"من أهل السنة من استسبل في الدفاع عن عقيدتهم في تفسيره و على رأس هؤلاء الامام فخرالدين الرازى". ١

١ـ مناهل العرفان المجلد الثانى ص ١٠٥

الفصل الخامس

التفسير بعد العهد العباسى

التفسير بعد العهد العباسي

نلاحظ أن التفسير بعد العهد العباسي اتسع نطاقه أكثر و ان كان الاعتماد في هذا الزمن على التفاسير السابقة . و فيما يلى نأتى بذكر بعض اسماء المفسرين بالايجاز:

١ . ابوعبدالله محمد ابن أحمد بن أبى بكر القرطبى (٦٧١ هـ)

وتفسيره " الجامع لأحكام القرآن" مختص بأحكام القرآن كما هو ظاهر من عنوانه إلا أن فيه فوائد جمّة قد سبقه فى هذا الميدان عديد من العلماء و المفسرين .فأول من ألف فى أحكام القرآن الامام الجصاص و إبن العربى. إلا أن تفسير القرطبى يتفوق على تفاسير الآخرين. و إنه بحق موسوعة فقهية.

٢ . ناصرالدين ابو سعيد عبدالله بن عمر البيضاوى (٦٨٥ هـ)

الف تفسيره تحت عنوان "أنوار التنزيل و أسرار التأويل". وهو فى الاصل اختصار لتفسير الكشاف للزمخشرى. إلاأنه جمع فيه فوائد أخرى ذات أهمية بالغة و كتب الله له القبول فتلقته أيدى الأمةبالمدح و الثناء يقول عنه العلامة الزرقانى:

" وأما تفسير البيضاوى فهو كتاب دقيق جميع بين تفسير و التأويل على قانون اللغة العربية و قرر الأدلة على اصول اهل السنة ".١

٣ . عبد الله بن أحمد النسقى (٧٠١ هـ)

وهو صاحب "مدارك التنزيل و حقائق التأويل". و تفسيره المذكو اختصار لتفسير البيضاوى و تفسير الزمخشرى.

ويقول الدكتور الذهبى عنه :

"قرأت فى هذاالتفسير فوجدته كما قلت آنفا مؤجزالعبارة، سهل المأخذ، مختصرا من تفسير الكشاف، جامعا لمحاسنه متحاشيا لمساوئه و من تفسير

١ـ مناهل العرفان المجلد الثانى ص ٧٥

البيضاوى أيضا . حتى انه ليأخذ عبارته نصا أو قريبا منه و يضمنها تفسيره". ١

٤ . علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الخازن (٧٤١هـ)

و تفسيره معروف بإسم "تفسير الخازن" و هو من التفاسير التى قدرت لها الشهرة و الصيت فى الخافقين. و يقول عنه العلامة الزرقانى:

"تفسير مشهور يعنى بالمأثور من غير ذكر اسانيد و ماغيره. أنه يتبع القصة ببيان ما فيها من باطل حتى لا ينخدع بها غر و لا يفتن جاهل". ٢

٥ . ابو حيان محمد بن يوسف الاندلسى. (٧٤٥ هـ)

وقد ألف تفسيره بعنوان "البحر المحيط" و هو حقا بحر واسع كاسمه فيقول عنه الدكتور الذهبى:

"و معتبر عندهم المرجع الأول والأهم لمن يزيد أن يقف على وجوه الإعراب لالفاظ القرآن الكريم إذ أن الناحية النحوية هى أبرز مافيه من البحوث التى تدور حول آيات الكتاب العزيز والمؤلف إذ يتكلم عن هذه الناحية فهو ابن بجدتها و فارس جلبتها غير أنه والحق يقال قد أكثر من مسائل النحو في كتابه مع توسعة في مسائل الخلاف بين النحويين حتى أصبح الكتاب أقرب مايكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير". ٣

ولكن السؤال هل كان الذهبى موفقا في مجهوداته ؟ يبدوا لى أنه الأمر ليس كما يدّعيه الذهبى لان تفسيره يشمل كثيرا من العلوم والمعارف و فى هذا السياق يبين الذهبى منهجه بنفسه يطبقه على تفسيره كمايقول:

"و ترتيبى فى هذا الكتاب أنى ابتدئ أولا بالكلام على مفردات الآية..... ثم أشرع فى تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها إذا كان لها سبب و نسبتها و مناسبتها و ارتباطها بماقبلها حاشدا فيها القراء ات شاذ ها و مستعملها ذاكرا توجيه ذلك فى علم العربية ناقلا أقوال السلف و الخلف فى فهم معانيها.....

١ـ التفسير والمفسرون المجلد الاول ص ٢٩٠
٢ـ مناهل العرفان المجلد الثانى ص ٧٦
٣ـ التفسير والمفسرون المجلد الاول ص ٣٠١

مبديا ما فيها من غوامض الاعراب و دقائق الآداب". ١

و فى جميع هذه الامور إنه فى الحقيقة قد سلك مسلك الزمخشرى و ابن عطية متاثرا بهما.

٦. احمد بن يوسف بن عبدالدائم الحلبى(٧٥٦ هـ) الذى كتب تفسيره بإسم "الدر المصون فى علم الكتاب المكنون" من اعظم التفاسير التى عنيت بالجانب النحوى و التوجيه الإعرابى.

و قد قام بتحقيقه الدكتور احمدالخياط و هو تحقيق ذو فوائد جمة و له تفسير آخر بتفسير السمين الحلبى . و إنه صنف كتابا آخر باسم كتاب "عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ" أحسن كتاب في شرح مفردات القرآن.

وله مناقشات مفيدة مع شيخه أبى حيان و هذه المناقشات القيمة مشتهرة و قد نقل راغب الطباخ عن تذكرة النوادر للهاشم الندوي قول سيد سليمان الندوي التالى :

"رأيت هذا الكتاب بنظر غائر و قد نهج مؤلفه نفس المنهج الذى سار عليه الزمخشرى فى كشافه و عندى هذا من حيث طريقته و تحقيقه يفوق الكشاف". ٢

٧. ابوالفداء اسماعيل بن كثير (٧٧٤هـ)

الذى نال تفسيره شهرة باسم "تفسير القرآن العظيم". قيل عنه أنه خلاصة تفسير ابن جرير. و هو كتاب متدوال فى العالم. قال عنه العلامة الزرقانى:

"وتفسيره هذا من أصح التفاسير بالمأثور ان لم يكن أصحها جميعا نقل فيه عن النبى ﷺ و كبار الصحابة و التابعين". ١

و هذا التفسير من التفاسير التى استفاد منها العلماء كثيرا ولاسيما

١ـ البحر المحيط المجلد الاول ص ١٣٥

٢ـ تاريخ الافكار و العلوم الاسلامية لراغب الطباخ المجلد الاول ص ٣١٥

في هذا العصر فقدمت له دراسات و مختصرات منها مختصر ابن كثير لمحمد على الصابوني .

٨. برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)

الذى الف تفسيره بعنوان ''نظم الدرر في تناسب الآي والسور'' و هو تفسير فريد من نوعه. ألفه على فكرة محددة و نهج معين. و هو التماس المناسبات بين الآي والسور و هذا يكون أكثر محاولة من حيث حجمه في هذا المجال. إلا أن البقاعي اذ كانا معارضا لمتصوفة عصره واذ كان التصوف يسود الجو في ذلك الزمن. و لذا تعرض هو للابتلاء كما تعرض تفسيره للإهمال و الخمول و مع هذا كله يؤخذ علي هذا التفسير بحيث أنه يشتمل علي تكلف شديد في البحث عن المناسبات و لعله الزم نفسه ببيان المناسبة سواء ظهرت له بالوضوح أم لم تظهر

Diss 297.21:9 28P0;1

٩. جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)

TH-8790

الذى ترك ورائه اعمالا جليلة و متنوعة في التفسير. فقد فسر القرآن بإسم ''ترجمان القرآن'' الذى ينطوى على مجلدات عديدة ثم اختصره فى كتاب بعنوان ''الدر المنثور فى التفسير المأثور'' و قيل أنه شرع في تفسير جامع باسم ''مجمع البحرين و مطلع البدرين''.

إلا أن الذى بين أيدينا هو الدر المنثور في التفسير المأثور. وهو الكتاب الوحيد الذى ليس فيه إلا المأثور.

و له أيضا تكملة تفسير الجلالين الذى بدأ به جلال الدين المحلي و أكمله جلال الدين السيوطى. و لهذه المناسبة سمى تفسير ''الجلالين''. والتفسير هذا غاية في الايجاز و الإختصار حتى قيل أن عدد حروف القرآن و عدده إلى سورة المزمل متساو. و مع ذلك فهو من اشهر التفاسير و اكثر ها انتشارا و عناية .

---

١٠ . ابو السعود ابن محمد العماد (٩٨٢ هـ)

الذى ألف تفسيره تحت عنوان " إرشاد العقل السليم ألي مزايا القرآن الكريم". ويقول عنه العلامة الزرقاني :

"تفسير رائع ممتاز يستهويك حسن تعبيره و يروئك سلامة تفكيره و يروعك ما اخذ نفسه به من تجلية بلاغة القرآن". ١

١١ . محمد بن على بن محمد الشوكانسي (١٢٥٠ هـ)

الذى فسر القرآن باسم "فتح القدير" و هذاالتفسير نموذج فريد في الجمع بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية.

١٢ .محمود بن عبد الله الآلوسي (١٢٧٠هـ)

الذى ألف تفسيرا قيما بإسم "روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني" و هو تفسير يمثل تفسير الإشارى. ويقول عنه العلامة الزرقانى :

"و هذا التفسير من أجل التفاسير و أوسعها و أجمعها. نظم فيها روايات السلف بجانب آراء الخلف المقبولة و ألف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة و ما يفهم بطريق الإشارة". ٢

و فى حين يرى الدكتور الذهبى أن هذا التفسير أولى أن يجعل في عداد كتب التفسير بالرأى المحمود و ليس في كتب التفسير الإشاري نظرا إلى أنه لم يكن غرضه الحقيقى إلا التفسير الإشارى بل كان ذلك تابعا . هو يقول مثنيا عليه :

"وجلة القول فى روح المعاني للعلامة الآلوسي ليس إلا موسوعة تفسيرية قيمة". ٣

١ـ مناهل العرفان المجلد الثانى ص ٧٥

٢ـ مناهل العرفان المجلد الثانى ص ٩٢

٣ـ التفسير و المفسرون المجلدالاول ص ٣٤١

الفصل السادس

التفسير فى القرن العشرين

نلاحظ أن حركة التفسير قبل القرن العشرين بقليل إما قد توقفت أم بطأت. و المحاولات التى قام بها العلماء في إبان هذه الفترة كانت شبه تكرار لما سبق في القرون الماضية. أما في القرن العشرين فنلاحظ حياة جديدة في حركة التفسير تمخضت عن تفاسير كثيرة فبعض منها يتصف بميزات قلما نجدها عندالمتقدمين وعلى سبيل المثال نأتي بذكر بعض المفسرين فى السطور التالية.

١. حميد الدين الفراهي صاحب تفسير "نظام القرآن". و هذا التفسير يعد من أروع التفاسير الموجودة فى المكتبات العلمية و الدينية و من الملاحظ منا أن هذا التفسير ليس بكامل بل هو تفسير لجزء قليل من القرآن الكريم إلا أنه أنار الطريق لمن بعده.

إمام مفسرى القرآن حميد الدين الفراهي في تفسيره المذكور لم يتمسك بالاسلوب التقليدى بل فتح آفاقا جديدة إلى جانب كونه مفسرا كبيرا. كان الفراهى عالما كبيرا بأشعار العرب و حافظا لها كما كان عالما بالعبرانية وبأسفار القديمة و بالفلسفة الحديثة .

وفوق كل ذلك إنه كشف لنا سر إعجاز ا لقرآن بما في ذلك من نظم القرآن . فوقف الفراهى حياته كاملة على القرآن و فهمه وجاء فى النهاية بما ينبه العيون و يدهش العقول . و فيما يلي ندرج ملخصا ما وصل إليه الفراهى من النتائج الهامة في أثناء تدبره و تعمقه فى القرآن المجيد.

الف. القرآن قطعى الدلالة و لا يحتمل إلا معنى واحداً.

ب. تنوع الاساليب لا تخلو من حكمة.

ج. الإعجاز من لوازم القرآن الكريم و ليس من مقاصده.

د. الاهتمام بالمناسبات بين السور و الآيات امر لابدى .

ه. البحث عن عمود السورة يساعدنا فى فهم القرآن .

و. الاقسام فى القرآن ليست إلا للإستشهاد على المقسم عليه .

ز. التدبر فى القرآن ينبغى أن يكون مباشرا بدون واسطة.

ح. القرآن جله يفسر بعضه بعضا.

٢. محمد رشيد رضا

الذى نال تفسيره شهرة باسم "تفسير المنار" و فى هذا التفسير إنه بوجه عام سلك مسلك أستاذه هو الشيخ محمد عبده . إنه قد بين فى أكثر الأماكن رأي أستاذه كما ذكر قيمته العلمية والأدبية . فمنهج تفسيره معروف في الدوائر العلمية والحلقات الدينية .

يقول مناع القطان عن تفسير المنار :

" و هو تفسير عني بالمأثور عن سالف هذ الأمة من الصحابة و التابعين و بأساليب اللغة العربية و بسنن الله الإجتماعية. يشرح الآيات بأسلوب رائع و يكشف عن المعاني بعبارة سهلة و يوضح كثيرا من المشكلات و يرد على ما أثير حول الاسلام من شبهات خصومه و يعالج أمراض المجتمع بهدى القرآن" .١

و لاريب في أن تفسير المنار قد ترك أثرا واضحا في تكوين الذوق القرآنى فى هذا العصر و قام بسد ثغرة عظيمة. فقد أعطى للتفسير ثوب الجدة مع بقاء الأصالة.

و جميع مدراس التفسير فى العالم العربى فى هذا العصر لا تستفيد من هذا التفسير فحسب بل تتاثر به كثيرا لانه يمثل منهجا عقلانيا و فكرة جديدة و نهضة علمية .

٣. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي:

الذى ألف تفسيره بعنوان"أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن".

١ـ مباحث فى علوم القرآن لمناع القطان ص ٣٢٤

لم يستطع الشنقيطي إكمال هذا العمل الرائع فأتمه تلميذه عطية محمد سالم.

وهذاالتفسير كما هو ظاهر بإسمه يركز على تفسيرالقرآن بالقرآن كما أنه يعتني بتنقيح المسائل و تحقيق المناط في مسائل الخلاف والحاق النظير بالنظير من الآيات.

٤ .الشيخ طنطاوى الجوهرى

الذى فسر القرآن باسم ''تفسير الجواهر'' و حاول فيه أن يفتح أفقا جديدا من آفاق التفسير و هو العناية بالعلوم الكونية و إثباتها بالآيات القرآنية. و لكن هل نجح الجوهري في محاولته و هل قدر له التوفيق ؟ يرد على هذا السؤال مناع القطان قائلا:

> ''و قد أساء الشيخ طنطاوي الجوهري فى نظرنا بهذا التفسير إسائة بالغة من حيث يظن أنه يحسن صنعا و لم يجد تفسيره قبولا لدى كثير من المحققين لما فيه من تعسف في حمل الآيات على غير معناها''.١

٥ . طاهر بن عاشور

الذى ألف تفسيرا قيما باسم ''التحرير و التنوير'' الذى قام بنشره 'الدار التونسية' . جذب هذا التفسير أعين العلماء و الباحثين إليه فاعتبره بعض العلماء انجازا علميا ضخما اذ ان صاحب هذا التفسير قد فاق على كثير من المتقدمين و المتأخرين فى حل بعض المعضلات القرآنية و هذا التفسير يحتمل مكانة عالية بين كتب التفسير الموجودة في مكتبات العالم.

١ـ مباحث فى علوم القرآن لمناع القطان ص ٣٢٣

الباب الثانى

حياة سيد قطب و أعماله

الفصل الأول

فى حياة سيد قطب

حيات سيد قطب

ولد سيد ابن الحاج قطب بن ابراهيم فى قرية 'موشا' من قرى الصعيد تابعة لمحافظة 'اسيوط' التى قد استوطنها جده الخامس القادم من الهند.

و كانت ولادته سنة ١٩٠٦م و نشأ فى أسرة ميسورة الحال فى وضع مالى حسن إلا أنها لم تكن تمتلك ثروات طائلة و كان لوالده مكانة رفيعة محترمة لدى اصحاب القرية.

ذهب به والده إلى كتاب القرية ثم لما رأى توحشه منه ألحقه بمدرسة النظامية و هكذا "جمع الطفل بين حسنتى المدرستين حفظ القرآن فى الكتاب ونظام الصفوف و ساحة المدرسة الفسيحة و منهاج الحساب والقراءة و النشيد فى مدرسة الدولة". ١

لقد انهى دراسته سيد قطب فى مدرسة القرية فى عام ١٩١٨م ثم انتقل إلى القاهرة و التحق بمدرسة ثانوية تسمى حينذاك "تجهيزية دارالعلوم" و كان ذلك عام ١٩٢١م و لقد تأخر سنتين عن مواصلة الدراسة بسبب الثورة المصرية الكبرى و اغلاق المدرسة فى تلك الاوضاع.

والتحق بكلية دارالعلوم عام ١٩٣٠م و تخرج منها عام ١٩٣٣م حاصلا على شهادة الليسانس فى الآداب مع دبلوم فى التربية. و كان خلال دراسته فى دارالعلوم من الطلاب البارزين المتفوقين ويشهد لذلك استاذه الدكتور محمد مهدى علام فى مقدمة كتابه 'مهمة الشاعر فى الحياة' حيث يقول:

"إنى اعد سيد قطب مفخرة من مفاخر دارالعلوم و اذا قلت دارالعلوم

١- رائد الفكر الاسلامى المعاصر ليوسف العظم ص ٢٠

فقد عنيت دارالحكمة والادب" .١

و نلاحظ حين التتبع أن سيد قطب خلال هذه الفترة لم يكن متفوقا فى الدراسة فقط بل كان ذا مستوى رفيعة فى النشاطات الادبية و الخطابية والاجتماعية.

وظائف الحكومية:

تخرج سيد قطب عن دارالعلوم عام ١٩٣٣م و كان عمره آنذاك ٢٧ سنة و دخل فى مهنة التدريس الابتدائية بدمياط ثم حلوان ، و لم يكن منصرفا إلى مهنه فحسب بل كانت له نشاطات و كتابات ادبيه و شعرية ثم انصرف كليا إلى الصحافة فكان يكتب فى بعض الصحف كمؤظف رسمى و فى بعضها دون عمل رسمى. وكانت الصحف الشهيرة فى ذلك الوقت مثل الاهرام والاسبوع و الرسالة و الشرق الجيد تنشر كتاباته.

ثم انتقل إلى وزارة المعارف موظفا من سنة ١٩٤٠م إلى ١٩٤٨م و توظف فيها كمفتش تعليمى ثم مدير مكتب لطه حسين و كان مستشارا فى الوزارة.

و فى عام ١٩٤٨م أرسلته الوزارة إلى الولايات المتحدة الامريكية و كانت ذلك نقطة تحول لحياته الفكرية قد تركت هذه الرحلة بصمات عريقة على لوحات قلبه و صفائح ذهنه.

فيقول د/ فهد الرومى:

"وكانت رحلته ذلك إلى امريكا نقطة تحول لحياته الفكرية حيث لم يكن ارساله اليها للدراسة و للحصول على شهادة عالية كما يحسب بعض من كتب عنه و إنما كانت رحلة عملية ميدانية يقوم فيها بزيارة الجامعات و المعاهد العلمية فى امريكا و يطلع على مناهجها التعليمية ليعود لينطبقها

١ـ نقلا عن كتاب رائد الفكر الاسلامى المعاصر ص ٣٢

على مناهج التعليم فى بلاده . و لذا كانت رحلته تلك ذات مدة مفتوحة و كان امر ا نهائيا بيده و تنتهى بانتهاء دراسته الميدانية''. ١

إلا ان الدكتور الرومى لقد استدرك الحقيقة و قال :

''فالاهم من هذا كله ان رحلته تلك ليست -حقا- للاطلا ع على تلك المناهج و انما كانت للتخلص من سيد قطب و آرائه التى كان يطالب بها و يلح عليا. فإن سيد قطب لم يوافق على الرحلة إلا بعد ان منع من الكتابة فى الصحف و اغلقت مجلة 'الفكر الجديد' فلم يجد بدا من السفر''. ٢

و قد قضى سيد قطب عامين فى أمريكا يدرس المناهج والتيارات الفكرية السائدة هناك و يلاحظ أحوال المجتمع الامريكى و مايعانيه من فساد و خلل واضطراب . فعا د بغير الفكرة التى ذهب بها و بغير القلب الذى ذهب به عاد و قد تبينت له جليا مزية الدين الاسلامى و تفوقه على المذاهب الفكريه المعاصرة.

فلما عاد خيب ظن الذين بعثوه و كانوا يظنونه سيخدم الديمقراطية الغربية والرأسمالية السائدة . و لكن حين ألف بعد عودته كتابه ''امريكا التى رأيت'' امتلأت الدنيا بالضجة والصرفة حتى وزارة المعارف آنذاك لم تسمح لهذا الكتاب بحقوق النشر و بالتالى لم تنشر من هذا لكتاب إلا ثلاث حلقات و قام بنشرها مجلة 'الرسالة'.

سيد قطب والاخوان المسلمون

لاريب فى ان انضمام سيد قطب إلى الجماعة يعتبر ميلادا جديدا بالنسبة له و يردد دائما .

''لقد ولدت عام ١٩٥١م و هو تاريخ انضمامه إليهم''. ٣

١- اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر للدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومى ص ٩٩٠

٢- المرجع السابق " "

٣- " " ٩٩١

وتفسير هذا الميلاد يرجع إلى تاريخ عودته من امريكا - حيث عاد كما ابلغت - بالفكر الاسلامى و بالعقيدة الاسلامية و بالنفور من الافكار العلمانية وجعل يكتب و يتحدث عن فساد المجتمع الغربى وافكاره و اصبح دأبه فى كل مجلس و فى كل مقال ملفوظا او مكتوباً.

ثم خطرت بباله فكرة تنظيم الشباب ليخرج بالفكرة الاسلامى إلى الانسانية جمعاء . و كانت جماعة الإخوان المسلمين حينذاك تعانى من المحن و الشدائد . فكان بتوفيق الله ان سيد قطب قد تعرف بهذه الجماعة فأعجب بها و انتظم فى سلكها عام ١٩٥١م. بعد الالتحاق بالجماعة أهدى لها اول كتابه فى الفكر الاسلامى و هو ''العدالة الاجتماعية فى الاسلام'' و قال حين اهدائه :

''إلى الفتية الذين كنت المحهم بعين الخيال قادمين فوجدتهم فى واقع الحياة قائمين .....'' .١

و فى عام ١٩٥٢م بعد خروج أعضاء الجماعة من السجن اختير سيد قطب عضوا فى مكتب الارشاد لجماعة الاخوان المسلمين و رئيسا لقسم نشر الدعوة فى المركز العام للجماعة.

و فى عام ١٩٥٣م سافر إلى دمشق ممثلا للجنة حلقة الدراسات الاجتماعية المصرية فى مؤتمر لحلقة الدراسات الاجتماعية. و نفس العام تمت له زيارة مدينة القدس ممثلا للجماعة فى المؤتمر الاسلامى الشعبى.

وفى عام ١٩٥٤م عين رئيسا لتحرير جريدة الاخوان المسلمين و من نفس العام بدأت له المحن المتتالية والشدائد المتعاقبة و بدأت السجون تعمر به فحينا يعيش فى السجن للمكابد و حينا فى المستشفى العسكرى للمعالجة.

'' و فى صحيفة يوم ٢٩ آب (اغسطس) عام ١٩٦٦ م سيق العالم

١ـ نقلا عن كتاب رائد الفكر الاسلامى المعاصر ص٣٦

الربانى والداعية الى ساحة الاستشهاد فلقى الله مع صحبه راضيا مرضيا ليضيف صفحة مشرقة إلى ملحمة الجهاد و الاستشهاد على ارض الكنانة و ما من ذنب لهم الا ان يقولوا ربنا الله و ان يدعوا الامة ان تعود الى دينها لتستأنف مسيرة الخير و البر والرحمة فى حياة اسلامية جديدة وازفة و تشريع ربانى عادل قويم''.١

يقول الشيخ زين العابدين الركابى :

''و كا ن من بين الناس الذين يهتفون روما: ياسيد لا تفجعنا فى نفسك فالاسلام يريدك حيا لان الدعاة الأيقاظ ندرة فى هذا العصر و لا ن العمل الاسلامى سيفقد فيك رجلا غير عادى من فكره ..... و خلوص جهاده ..... و ثباته و قدر اته على الحركة و العمل و شدة بأسه على خصوم الاسلام فى كل المعسكرات''.٢

١ـ رئد الفكر االاسلامى المعاصر ص ٤١

٢ـ من مقدمة الكتاب "معركتنا مع اليهود" للسيد قطب ص ١٠

الفصل الثانى

فى اعماله الأدبية

اعماله الأدبية

بعد التأمل فى سيرته الذاتية يتبين ان سيد قطب قد بدء حياته الأدبية فى اثناء حياته الدراسية فى دارالعلوم حيث كا نت له نشاطات ادبية فى الندوات والمحاضرات. إلا ان باكورة اعماله المطوية التى تم العثور عليها بعد الفحص و التحقيق هى ذات عنوان ''العالم يجرى'' وقد نشر هذا المقال فى العدد ١٧ من مجلة 'الرسالة' وذلك فى عام ١٩٣٣م.

و فى خلال هذه الفترة نجده يشارك فى الصالونات الادبية و المعارك القلمية التى كانت تجرى بين اصحاب العقاد و اصحاب الرافعى و كان يدافع سيد قطب عن العقاد ويشن الهجوم على الرافعى.

ثم ان سيد قطب لم يقيد نفسه فى ميدان من ميادين الادب بل كان متجولا فى جميع الميادين فما ترك مضمارا الا وله فيه جولة.

ونلاحظ عند التامل فى اسلوبه الادبى انه تاثر بادباء عصره المعروفين من امثال الرافعى والعقاد و طه حسين. وكان هدا التاثر إلى مدة محدودة الى ان جمع مزايا هؤلاء الثلاثة و خرج الى منصة الادب متفوقا على هؤلاء الثلاثة مصطحبا معه ميزات اساليب هؤلاء إلى ان قال عنه العقاد:

'' سيكون سيد قطب اعظم كاتب و اديب بين المعاصرين''. ١

وقد مدح يوسف العظم اسلوبه الادبى الممتاز قائلا:

'' ولم يكن اسلوب استاذنا بالمتكلف المعقد الذى يبحث عن حواشى اللفظ غريب المعنى مايكدبه الذهن و يجهد به التفكير و لا بالاسلوب السطحى الذى يجمع سوقى الكلم عامى العبارة مما يحشر فى

١ـ نقلا عن كتاب رائد الفكر الاسلامى المعاصر ص ٧٦

اعمدة الصحف بلغة اقرب الى لغة عامة بل كان قرآنى الجملة و الروح ايمانى الايحاء و المعنى حتى جاء ت كتابته فكرا عميقا باسلوب ادبى أخاذ و ادبا رفيعا نابعا من فكر مستنير و علم غزير و ثقافة واعية ". ١

و فى هذاالفصل سنركز اهتمامنا بوجه خاص على القصص الثلاثه التى كتبها سيد قطب والتى هى خير شاهد على قوته البيانية وقدرته الادبية وبراعته الاسلوبية كما انها تمثل جانبا من الجوانب الادبية الهامة.

الاولى :	طفل من القرية	تمثل الواقعية
الثانية:	اشواك	تمثل الرومانسية
الثالثة:	المدينة المسحورة	تمثل الرمزية

اما طفل من القرية فهى قصة حياته التى تتضمن ايامه الدراسية فى كتاب القرية. و الموضوع الرئيسى لهذه القصة هو اصلاح عادات الناس فهو يقول فى مقدمتها :

"و فى تسجيله هنا يطلع الجيل الجديد على صور من الريف القومى بخيرها و بشرها لعل لهم رايا فيها ينبغى ان يبقى منها و ما ينبغى ان يزول". ٢

و نلاحظ فى هذه القصة مايلى :

اسلوبه فى هذه القصة يتصف بالسخرية و التهكم والتكرار والاستطراد. لانجد فيها بطلا تجرى الحوادث حوله و انما نجد سيد قطب يقص تلك الحوادث والصور على لسان طفل صغير و يستخدم له ضمير الغائب و اكثرها فى اسلوب تقريرى.

و لقد تاثر سيد فى هذه القصة باسلوب طه حسين و قد اشار الى هذا الجانب يوسف العظم . ٣

اما قصة اشواك فهى تعبر عن حب طهور صاف كان مصيره الاخفاق

١ـ رائد الفكر الاسلامى المعاصر ص ٧٥

٢ـ المرجع السابق ص ٨٤

٣ " "

والعزلة والفراق قد ابرز هذه النقطة سيد قطب فى مقدمة هذه القصة ''الى التى خاضت معى فى الاشواك قدميت و دميت و شقيت وشقيت ثم سارت فى طريق و سرت فى طريق جريحين بعد المعركة لانفسها الى قرار و لا نفيس الى استقرار''.

فهى تجربة حقيقية عاشها سيد قطب فى حياته الخاصة.

و فى هذه القصة نرى سيد قطب يحرص على تتبع الخلجات النفسية فهى حافلة بالصور النفسية الباطنة والخلجات القلبية الضامرة.

وقد يبدو لمتأمل ان هناك تشابه بين 'اشواك' لسيد قطب و 'سارة' للعقاد. فالقصتان على ما يتضح من سياقهما مستمدتان من حياة كاتبهما موضوع كل منهما يكاد يكون واحدا . وفى بداية الامر يبدوا ان الاستاذ سيد قطب قد نقل من الاستاذ العقاد كثيرا الا ان بعد امعان النظر يتبلور ان لكل منهما فى الكتابة و فى معالجة تجارب الحياة التى عرضت لها طريقة خاصة .

و من الملاحظ ان سيد قطب عند كتابة هذه القصة لقد اتبع كثيرا الاساليب القرآنية فمثلاً يقول : ''ثارت العاصفة وانقلب البيت كله على الفتاة وانتدبت هى من وجوههم مكانا قصيا''. و اما القصة الثالثة 'المدينة المسحورة' فهى تدور حول فكرة ''إن الحياة بلا خيال نوع من التجحر و العيش بلا احلام حيوانية بليدة''.

و يرى يوسف العظم ان القرآن الكريم و على وجه التحديد سورة الكهف قد اثرت كثيرا على هذه القصة و لذا نلاحظ ان الحياة فى المدينة انجمدت و وقفت الحركه مئات السنين كما وقع فى زمن اصحاب الكهف.١

و فى مستهل هذه القصة يصور لنا سيد قطب حال شهريار فى تسع و

١- رائد الفكر الاسلامى المعاصر ص ٩٨

تسعين ليلة التى قضاها فى عالم الواقع بعيدا عن عالم الخيال و الاحلام الذى خلقه شهرزاد عندما صدر لها الاذن للاستراحة فى القصر بعد الف ليلة و ليلة.

إلى جانب هذه القصص الثلاث صدرت لسيد قطب بالاشتراك مع 'عبدالحميد جودة' الحلقة الاولى من القصص الدينية للاطفال تحت عنوان ''قصص الانبياء'' وكان الهدف من هذه القصص تحقيق السرد الفنى للقصص بما يربى فى الطفل الشعور الدينى ويقوى الحاسة الفنية و ينمى الذوق الادبى. كما اشار الاستاذ سيد قطب فى مقدمة هذا الكتاب. و علاوة على ذلك اشترك سيد قطب مع اخيه و اخواته فى كتابه''الاطياف الاربعة''

واشترك كذلك مع أمينة السعيد و يوسف المراد فى تاليف الكتاب ''روضة الطفل''.

آثاره فی النقد

لایکتمل الحدیث عن النقد الادبی فی العصر الحدیث بدون ذکر ما کتبه سید قطب فی هذا المجال فقد الف سید قطب اربعة من الکتب المتکاملة للموضوع الموحدة الفکرة و المنهج فی مجال النقد والاستعراض . وهذه کلها بمثابة معالم فی طریق النقد. فعناوین هذه الکتب ما یلی:

١ . مهمة الشاعر فی الحیاة بشعر الجیل الحاضر.

٢ .نقد مستقبل الثقافة فی مصر.

٣ . کتب و شخصیات.

٤ . النقد الادبی اصوله و منهجه.

الکتاب الاخیر یتناول موضوع النقد بصورة کاملة فی مجال النقد مع ذکر اصوله و مناهجه فهو ینم عن قمة النضج عند المؤلف. یقول یوسف النجم :

''إنه من النقاد العصامیین الذین شقوا طریقهم بانفسهم دون الاعتماد علی النقاد الغربیین کما فعل اکثر النقاد فی النهضة الحدیثة''. ١

فکاتب آخر اسمه رجاء النقاش یثنی علی هذا الکتاب قائلا:

''و کان ناقدا بصیرا بالتراث العربی و بروح العصر''. ٢

و فی الحقیقیة کان سید یؤمن بأن النقد بمثابة ضریبة یؤدیها الناقد ببذل جهوده و بصرف وقته.

و فیما یتعلق بوظیفة النقد عند سید قطب فهی '' تقویم العمل الادبی و بینان قیمته الموضوعیة و قیمه التعبیریة و الشعوریة''. ٣

١ـ الادب الغربی فی آثار الدارسین للدکتور یوسف النجم ص ٣٦٢

٢ـ صفحات مجهولة فی الادب العربی المعاصر لرجاء النقاش ص ٢٦

٣ـ النقد الادبی اصوله و منهجه لسید قطب ص ٥

و كان يرى سيد قطب ان الجانب الموضوعى و الجانب الفنى فى العمل الادبى امران متلازمان و متلاصقان.

فى ضمن حديثى عن سيد قطب كناقد ادبى اود ان انقل بعض المقتطفات من كتابه الاخير الشهير فى هذاالمجال و هو 'النقد الادبى'.....، و ذلك لان هذه المقتطفات تحدد موقف سيد من الادب والاديب.

فيقول سيد قطب عن خصائص الاديب الذاتية :

''اذ ليس المطلوب من الاديب ان يقول كلاما كيفما اتفق و لكن المطلوب ان يكون له ميسم ذاتى و طابع شخصى يدمغ به كل عمل يخرج من بين يديه فيلمسه القارى فى كل اعماله''. ١

و يقول: ''الاديب رائد من رواد البشرية يسبق خطاها لينير لها طريقه ..... و هو رسول الحياة إلى الآخرين الذين لم يمنحوا حق الاتصال''. ٢

و فى مكان آخر يوضح اهمية الصدق فى الادب قائلا:

''الصدق شيئ فى ضمير الاديب لا نملك حق الاطلاع عليه و لكننا نستطيع ادراكه فى عمله من خلال التعبير بان ينتظم العمل الادبى جوا شعوريا و احدا لا اضطراب فيه و لاتزوير''. ٣

''وظفية الادب حينئذ أن يهيأ للألفاظ نظاما ونسقا وجوا يسمع لها بأن تسع أكبر شحنتها من الصور و الظلال والايقاع و أن يتناسق ظلالها و ايقاعاتها مع الجو الشعورى الذى يريد أن يرسفه و الا يقف بها عند الدلالة المعنوية الذهنية فحسب''. ٤

١- النقد الادبى لسيد قطب ص ٢٤

٢- المرجع السابق " ص ٢٩

٣- " " "

٤- " " ص ٤٣

انتاجاته الشعرية

كان سيد قطب من الشعراء المطبوعين. الا انه لم يلتفت الى هذا الجانب من قريحته بسبب انضمامه فى القضايا الفكرية و مع ذلك انه خلف وراء ه دواوين عديدة و منها "الشاطئ المجهول" و "قافلة الرقيق" و "حلم الفجر".

ومن هذه الدواوين الثلاثة لم يطبع الا واحد و هو 'الشاطى المجهول'.١

و الموضوعات التى تسيطر على شعره هى : التموه والشكوى و الحنين والتأمل والغزل والوصف والرثاء والوطنيات بوجه عام . و من الجدير بالذكر الملاحظة هنا ان الرثاء قد نال قدرا ضئيلا من شعره لان ابياته تقدم صورة فعلية للحياة الانسانية فى الوقت الحاضر كما فى تصور احاسيس و مشاعر الشباب الممزق الذى تداعبه آماله و طموحه و يرده واقع الحياة خائبا خاسرا فيسقط فريسة الضياع و التمرد والشكوى و يبحث عن نفسه هنا و هناك.٢

و تجدر الاشارة هنا الىٰ ان ديوانه لايتضمن اية قصيدة المدح او الهجاء و يدل هذا على علو همته و صفاء طبيعته حيث لا يشتغل ذهنه بهذه الا عمال التافهة الساقطة فى نظر الانسانية ويبرز يوسف العظم ميزات شعره قائلا:

" ان الطابع الذى يطبع شعر سيد قطب فى شبابه هو الانسانية بكل ابعادها الخيرة و اعطائها الوفير بل بكل جوانب المسرة فيها والالم والشك و اليقين. فقد كان دائم التساؤل والتفكر عن 'النفس الضائعة' و 'الغد المجهول' و

١ـ كتاب رائد الفكر الاسلامى المعاصر ، ص ١٠٣

٢ـ مقدمة ديون سيد قطب عبدالباقى محمد حسين ص ١٦

'الحياة الغالية'.١

و من جانب آخر يمدح عبدالباقى محمد حسين فى مقدمة ديوان سيد قطب قائلا:

''يتبين للناقد ان الشاعر فى الديوان يقف موقف المصور فى كثير من القصائد حتى لا تكاد تخلو قصيدة عن تصوير ..... و هو مصدر حسى فى بعض الاحيان''.٢

١ـ رائد الفكر الاسلامى المعاصر ص١٠٤

٢ـ مقدمة ديوان سيد قطب ترتيب: عبدالباقى محمد حسين ص ٣٤

الفصل الثالث

آثاره فى الفكر الاسلامى

آثاره فی الفکر الإسلامی

تشتمل اعمال سید قطب الفکریة علی مراحل زمنیة ثلاثة. [1]

١. الاسلامیات الفنیة و ینطوی علی هذا الموضوع کتاباه:

التصویر الفنی فی القرآن و مشاهد القیامة فی القرآن.

٢. الاسلامیات العامة و تحتوی علی هذا الموضوع الکتب الثلا التالیه:

العدالة الاجتماعیة فی الاسلام

معرکة الاسلام والرأسمالیة

السلام العالمی والاسلام

٣. الاسلامیات الحرکیة الهادفة. والکتب التالیة تتضمن ه الموضوع:

'هذالدین' و 'المستقبل لهذا الدین'و 'خصائص التصور الاسلامی مقوماته'و 'الاسلام و مشکلات الحضارة'و 'معالم فی الطریق'و 'فی ظلا القرآن'.

و ان هذه الطائفة الاخیرة من کتبه تحتل مکان الصدارة فلایمکَ لاحد الاستغناء عنها.

اما تفسیره 'فی ظلال القرآن' فهو تفسیر ذو اهمیة کبری حی تتضمن تفسیره آراء و افکار جدیدة هامة و بمناسبة هذا المکان اود اذکر بعض المیزات لمدرسة سید قطب الفکریة استخدم هنا کلمه مدرء لاننی اری و یری معی الکثیرون ان سید قطب قد کون بنفسه مدرسة فکر منهجیة ولاتزال هذه المدرسة تواصل مسیرها.

١ـ اعتمدت فی هذا التقسیم علی کتاب یوسف العظم و هو 'رائد الفکر الاسلامی المعاصر'ـ

١. و من اهم الميزات لهذا المدرسة ''الجدية'' التى تظهر فى اعتماده الكلى على القرآن والسنة المطهرة كمصدر للبحث و الدراسة باسلوب عذب و وعى عميق .

٢. و ميزة هذه المدرسة الثانية اسلوبه الخاص الذى يتصف باسلوب الداعية و حرارته و صوته لا باسلوب فيلسوف تقل عبارته رونقا و بهاء ا. فاسلوبه يمتاز بالاشراق البيانى وجمال التعبير وسهولته و يعتمد فيه على اللفظة المفردة و على الترادف الذى بنوع المعنى ولا يكرره كما يمتاز بالتشخيص و اداء المعانى فى صورة حركية.

٣. الميزه الثالثة تتلخص فى تاثره باسلوب القرآن العظيم وبفضل هذه الميزة كان سيد قطب يقدر على نقل المعانى فى صورة بارزة واضحة و هو لايعتمد بوجه عام على استعمال المصطلحات الفنية والعلمية المعقدة.

٤. والميزة الرابعة تتعلق بتذوقه الخاص بالحقيقة .فهو يتمثلها ثم يصوغها بعبارة رشيقة و بيان أدبى يتسرب الى القلوب دون عناء او كلل.

٥. والميزة الخامسة تنم عن انه يضع رجلا مسلما فى مناخ قرآنى يشم عبره و يستروح نسماته.

٦. الميزة السادسة تتلخص فى ان شخصية سيد قطب تتمحور كرائد لكتاب الاتجاء الاسلامى المعاصرين الذين بذلوا جهدا جهيدا لتدعيم هذا الاتجاه .

٧. الميزة السابعة تتركز على ان سيد قطب يكتب فى الفكر الاسلامى و هو مؤمن بان الاسلام هو النهج السديد للبشرية جمعاء الشامل للحياة كلها عقيدة و عبادة و منهاجا وشريعة.

الباب الثالث

"فى ظلال القرآن"- دراسة تحليلية

مبدء البحث

يقول العلامة الزرقانى : التفسير تفسيران :

احدهما: "تفسير جاف لايتجاوز حل الالفاظ و إعراب الجمل و بيان مايحتويه نظم القرآن الكريم من نكات بلاغية و إشارات فنية ، وهذا النوع اقرب إلى التطبيقات العربية منه إلى التفسير."١

النوع الثانى:

"تفسير يجاوز هذه الحدود و يجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن و تعاليم القرآن و حكمة الله فيماشرع للناس فى هذا القرآن على وجه يجذب الارواح و يفتح القلوب و يدفع النفوس إلى الاهتداء يهدى الله. وهذا هو الخليق باسم التفسير". ٢

و فى ضوء هذاالبيان المؤجز يمكن أن نضع "فى ظلال القرآن" فى عداد كتب التفسير التى ينطبق عليها النوع الثانى للتفسير وهذا واضح من كلمات.

١ـ مناهل العرفان للزرقانى المجلد الثانى ص ٨

٢ـ " " " "

الفصل الأول

ماذا يقول المفسر والآخرون عن التفسير

يقول الاستاذ سيد قطب التالية فى مقدمة تفسيره :

"وبعد فقد يرى فريق من قراء هذه "الظلال" انها لون من تفسير القرآن. و قد يرى فريق آخر انها عرض لمبادئ العامة للإسلام كما جاء بها القرآن . و قد يرى فريق ثالث أنها محاولة لشرح ذلك الدستور الالهى فى الحياة و المجتمع و بيان الحكمة فى ذلك الدستور .. أماأنا فلم اتعمد شيئا من هذا كله، و ما جاوزت ان اسجل خواطرى ، و أنا احيا فى تلك الظلال:

كل ما حاولته أن لا اغرق نفسى فى بحوث لغوية او كلامية او فقهية تحجب القرآن عن روحى و تحجب روحى عن القرآن ، و ما استطردت إلى غير مايوحيه النص القرآنى ذاته، من خاطرة روحية او اجتماعية او انسانية ، و ما احفل القرآن بهذه الايحاء ات . كذلك حاولت ان اعبرعما خالج نفسى من احساس بالجمال الفنى العجيب فى هذا الكتااب المعجز، و من شعور بالتناسق فى التعبير و التصوير.

و لقد كانت هذي إحدى اماني أن فرغت من كتاب "التصوير الفنى فى القرآن" قبل ثمانية اعوام، سجلت فيه ما بدأ لى واضحا يومذاك: إن التصوير هو القاعدة الواضحة فى التعبير القرآنى الجميل .. و كنت قد اردت الكتاب كله على هذا المحور لشرح هذه القاعدة والتمثيل لها من القرآن، كانت إحدى امانى "ان يوفقنى الله إلى عرض القرآن فى هذا الضوء.. ثم كمنت هذه الرغبة او توارت، حتى ظهرت مرة اخرى فى هذه الظلال". ١

تجدر الاشارة هذه إلى أن الاستاذ سيد قطب قبل ان يخوض فى هذا التفسير لم يكن يستهدف إلا كتابة تفسير فقط. وقد أشار إلى هذا الجانب

١ـ مقدمة فى ظلال القرآن المجلد الاول ص ٢٤٩

فى كتابه مشاهد القيامة فى القرآن (١) الذى الفها قبل كتابة تفسيره الذى نحن بصدد ذكره .

ماذا يقول الآخرون

ويقول الاستاذ محمد قطب وقد امات اللثام عن هذا الجانب قائلا :

"فى ظلال القرآن" الكتاب الذى عاشه صاحبه بروحه و فكره و شعوره و كيانه كله و عاشه لحظة لحظة و فكرة فكرة و لفظة لفظة و اودعه خلاصة تجربته الحية فى عالم ا االإيمان" . ٢

وقد أدرك عالم آخر و هو مناع القطان هذه النكتة فى ظلال القرآن و ابرزها فى كتابه "مباحث فى علوم القرآن" قائلا :

"وبرز من رجال هذه الجماعة العالم الفذ و المفكر الألمعى الشهيد سيد قطب الذى فلسف الفكر الاسلامى و كشف عن مفاهيمه الصحيحة فى وضوح و جلاء وقد لقى الرجل ربه شهيدا فى سبيل عقيدته و ترك تراثه الفكرى و فى مقدمته كتابه فى تفسير القرآن المسمى فى ظلال القرآن.

والكتاب تفسير كامل للحياة فى ضوء القرآن و هدى الاسلام عاش مؤلفه فى ظلال الذكر الحكيم كما نفهم من تسميته . و يتذوق حلاوة القرآن و يعبر عن مشاعره تعبيرا صادقا...

و هو بحق ثروة فكرية اجتماعية هائلة لايستغنى عنها المسلم المعاصر". ٣

ويقول السيد حامد على وهو عالم و داعية هندى و قد أشار إلى هذاالجانب فى حين قام بنقل فى ظلال القرآن إلى اللغة الأردية .

"بناء ا على علم المترجم و اعتقاده فإن التفسير فى ظلال القرآن تفسير من

١ـ مشاهد القيامة ص ١٠

٢ـ فى ظلال القرآن (الطبعة ـ ١١) المجلد الاول ص ٩

٣ـ مباحث فى علوم القرآن لمناع القطان ص ٣٢٥ـ٣٢٦

نوعه لا يوجد مثيله فى العربية فضلا عن ان يكون فى الاردوية . هو تفسير علمى و فكرى تفسير دعوى و تربوى، تفسير حركى وادبى ، هو افضل تفسير لفهم معانى القرآن و تنمية مواهب الفهم القرآنى" ١ .

١ـ فى ظلال القرآن(الترجمة الاردوية) للاستاذ سيد حامد علىؒ المجلدالاول ص ٣٠

الفصل الثاني

رؤية سيد إلى الانسان والكون

رؤية سيد إلى الإنسان و الكون

موضوع العلاقة بين الإنسان والكون و بينهما و بين الله تحمل أهمة كبرى و مكانة عظمى فى تفسيرسيد قطب بل فى اكثر مؤلفاته. و قد تحد سيد قطب عن هذا لموضوع فى الاماكن المختلفة لكتاباته شرحا و اجمالا

فالكون عنده اكبر من تصور الإنسان و اضخم من أن يحيط به العق الإنسانى كمايتبلور من كلماته التالية . فهو يقول:

"ثم يكشف للإنسان عن وضعه الحقيقى فى هذالكون الكبير و عن ضآلته بالقياس إلى بعض خلق الله الذى يراه الناس و يدركون ضخامته بمجرد الرؤية ، ويزيدون شعورا به حين يعلمون حقيقته ((لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لايعلمون)) والسموات والارض معروضتان للانسان يراهما و يستطيع ان يقيس نفسه اليها و لكنه حين 'يعلم' حقيقة النسب و الأبعاد و حقيقة الاحجام و القوى يطأ من كبريائه و يتصاغر و يتضاءل حتى يكاد يذوب من الشعوب بالضآلة" ١.

للوجود عنده قسمان: قسم يعلمه البشر و هو صغير جدا بالنسبة لما لا يعلمه ومع ذلك لايمكن لتصوره و عقله ان يصل إليه بدون مشقة و عناء لا ينكشف هذاالقسم للوجود إلا عن طريق التدبر فى القرآن الكريم. وقد أشار سيد قطب إلى هذا الجانب قائلا:

"عشت فى ظلال القرآن ارى الوجود اكبر بكثير من ظاهره المشهود الاكبر فى حقيقته و اكبر فى تعدد جوانبه . انه عالم الغيب والشهادة لاعالم الشهادة وحده. و انه الدنيا والآخرة لاهذه الدنيا وحدها. و النشأة الإنسانية ممتدة فى

١- فى ظلال القرآن الجزء ٢٤ ص ٨٥

استعاب هذا المدى المتطاول . والموت ليس نصيبه كله انما هو قسط من ذلك النصيب" ١.

ثم إن هذا الكون الكبير والوجود الهائل مع كبره و ضخامته طابع لمشية الله و إرادته و لايحيل كونه كبيرا جدا ان يتصرف فيه قدرته الالاهية المطلقة . و قد ادرك سيد قطب هذه الحقيقة عن طريق القرآن الكريم و وصل إلى النتيجة :

"إن الإنسان الضعيف فى ذاته شاء ت مشية الله ان يكون سيدا و ان يكون له الدور الاول و المكانة العظمى فى هذا الكون العظيم فهو "مستخلف فى الأرض" "مالك لما فيه " و"مؤثر فيه" وهو "الكائن الاعلى فى هذاالملك العريض" و هو "السيد الاعلى فى هذاالميراث الواسع" .

فى سياق قصة آدم المذكورة فى سورة البقرة يوضح سيد قطب هذه النقطة قائلا :

"إن ابرز ايحاء ات قصة آدم كما وردت فى هذا الموضوع هو القيمة الكبرى التى يعطيها التصور الإسلامى للإنسان و لدوره فى الارض و لمكانه فى نظام الوجود و للقيم التى يوزن بها ثم لحقيقة ارتباطه بعهد الله و حقيقتة هذا العهد الذى قامت خلافته على اساسه.

و من هذه النظرة للإنسان تنبثق جملة اعتبارات ذات قيمة كبيرة فى عالم التصور و فى عالم التصور على سواء.

و اول اعتبار من هذا الاعتبارات هو ان الاناسن سيد هذه الارض و من اجله خلق كل شيئ فيها . كما تقدم ذلك نصا . فهو اذاً اعز و اكرم و اعلى من كل شيئ مادى و من كل قيمة مادية فى هذه الارض جميعا. والاعتبار الثانى هو أن دور الإنسان فى الارض هو الدور الاول فهو الذى يغير و يبدل فى اشكالها

١ـ مقدمة فى ظلال القرآن المجلد الاول ص١٢ـ٢١

و فى ارتباطاتها و هو الذى يقود اتجاهاتها و رحلاتها و ليست وسائل الانتاج و لا توزيع الانتاج"١.

فالحديث عن اهمية الوجود الإنسانى يحمل طابعا خاصا فى تفسير سيد قطب. فالإنسان عنده فى حقيقة الأمر ليس بهيمة و لاملكا. له حقيقة مستقلة تندمج فيها الميزات الحيوانية والميزات الملكية. ولاتكتمل وجود الإنسان حتى تجمع فيه هذه الميزات كلها و قد القى سيد قطب الضوء على هذا الجانب قائلا:

"التوازن بين خصائص العناصر الطيبة فيه و العناصرالعلوية هو الافق الاعلى الذى يطلب اليه ان يبلغه و هو الكمال البشرى المقدر له. فليس مطلوبا منه ان يتخلى عن طبيعة احد عنصريه مطالبه ليكون ملكا او ليكون حيوانا و ليس واحدا منها الكمال المنشود للإنسان". ٢

عند سيد قطب ثمة خلاف فى معنى الجمال بين الطابع الحيوانى والطابع البشرى وذلك لأن معايير الجمال تختلف كثيرا بين الحيوان والإنسان و قد أشار سيد قطب إلى هذا الأمر قائلا:

" لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامى و طهر احساسه بالجمال . فلم يعد الطابع الحيوانى للجمال هو المستحب بل الطابع الانسانى المهذب... و جمال الكشف الجسدى جمال حيوانى يهفوا اليه الإنسان بحس الحيوان مهما يكن من التناسق والإكتمال. فأما جمال الحشمة فهو الجمال النظيف الذى يرفع الذوق الجمالى و يجعله لائقا بالإنسان و يحيطه بالنظافة و الطهارة فى الحس و الخيال" ٣.

فى حين تبين هذا كله فهناك سؤال يتعلق بموقف الإنسان تجاه قوى الكائنات. هل هذالموقف يتسم بالعداوة ام بالوحشة ام هو يتصف الأنس و

١- فى ظلال القرآن الجزء الاول ص ٧١-٧٢
٢- " الجزء ١٤ ص ٢٢
٣- " الجزء ١٨ ص ٩٦

المودة يجيب سيد قطب على هذا السؤال قائلا:

"اما القوى الطبيعة: فموقف المسلم منها موقف التصرف والصداقة لاموقف التخوف والعداء . ذلك ان قوة الإنسان و قوة الطبيعة صادرتان عن ارادة الله و مشيئته محكومتان بإرادة الله و مشيته متناسقتان فى الحركة والاتجاه". ١

---

١ ـ فى ظلال القرآن تفسير سورة الفاتحة

الفصل الثالث

الاسلام كما يفهمه سيد قطب

الإسلام كما يفهمه سيد قطب

إن المصطلحات الأساسية كالدين والإسلام تحتل مكانة كبرى فى تفسير سيد قطب. و لما كان التحرك كامنا فى طبيعته و سعة الافق مخفيا فى فكرته اتخد الإسلام دينا حركيا انقلابيا يرشد الإنسان فى جميع مجالات الحياة . و فى التفسير الذى نحن بصدده اراد سيد قطب أن يوضح حقيقة الدين الأصيل لتنور الحياة والروح و ان يبين ما يحمله القرآن من الفوائد الجمة لحياة الإنسان كله. فلا يقتصر سيد قطب على الأفكار الضيقة التى تبعد اولاد آدم عن الروح الثورى القرآنى . فيقول فى مكان موضحا حقيقة الدين الأصيل:

"إن الدين هو النظام الذى قدره الله للحياة البشرية بجملتها و المنهج الذى يشيد عليه نشاط الحياة برمتها. والله وحده هو صاحب الحق فى وضع هذا المنهج بلاشريك. والدين هو الإتباع والطاعة للقيادة الربانية التى لها وحدها حق الطاعة و الاتباع و منها وحدها يكون التلقى و لها وحدها يكون الاستسلام"١.

ولايعنى ذلك أن الأستاذ سيد قطب كان وحيدا او منفردا فى مثل هذا القول و لم يأت احد آخر بمثل هذا الرأى. ولا ريب فى أن عديدا من المفسرين المتقدمين والمتأخرين قد طرحوا هذه الفكرة أو مثلها على الناس إلا أن ما يميز سيد قطب و جماعته من الآخرين هو أنه اوضح هذه الفكرة لغاية من الوضوح حيث لم يترك فيهاای ابهام او اجمال او غموض . و دعا واقع المسلمين إلى ذلك لأنهم قد حصرو الدين فى حياتهم الخاصة كما

١ـ فى ظلال القرآن الجزء الرابع ص٢١٣ـ٢١٤

حددوه فی مجالات ضیقة و جنوا علی الدین بتضییقه فی المسجد. فردا علی مثل هذا المفهوم الخاطئ للدین یشیر الأستاذ سید قطب إلی التعبیر القرآنی العمیق الدقیق المذکور فی سورة یوسف و یقول لدی تفسیر آیة ((کذلك کدنا لیوسف... ماکان لیأخذ اخاه فی دین الملك))

"إن هذا انص یحدد مدلول کلمة "الدین" فی هذا الموضع تحدیدا دقیقا. إنه یعنی نظام الملك و شرعه فإن نظام الملك وشرعه ماکان یجعل عقوبة السارق هو اخذه فی جزاء سرقه. انما هذا کان نظام یعقوب وشریعة دینه. و قد ارتضی اخوة یوسف بحکم نظامهم و شریعتهم فطبقها یوسف علیهم عند ماوجد سواع الملك فی رحل اخیه و عبر القرآن الکریم عن النظام و الشریعة بأنها "الدین". ۱

اود ان اشیر هنا إلی ما اعترض علیه مخاصموه و معارضوه قائلین أن سید قطب قد یتجاوز الحد فی التوکید علی النقطة المذکورة اعلاه و بالنتیجة هو یعطی للنظام أهمیة أکثر من اللازم فی الدین. فهنا لتوضیح موقف الاستاذ من النظام تعدل علینا ان ندرك الدین عبارة عن العقیدة والعبادة والنظام. ولاشك أن الأهمیة الکبری للعقیدة ثم للعبادة ثم للنظام. فالنظام بدون العقیدة والعبادة لایحمل الإعتبار. فالاساس هو العقیده ثم تنبثق منها العبادة اعنی العمل و بعد ذلك تأتی مرحلة النظام. لان الإسلام عند الأستاذ هو استسلام مطلق لکتاب الله و احکامه واتباع رسله الذین جاء وا بنورالله العظیم و مرضات ربنا و المنهیات عنها. و هو یأمر الإنسان بالقضاء علی القوة البهیمیة لانها یتعارض مع احکام الخالق ولا یقبل الإسلام أدنی رغبة عن الاوامر الالهیة فی ای من مجالات الحیاة الانسانیة یوضح سید قطب هذه النقطة قائلا:

"و من ثم یکون الدین الذی یقبله الله من عباده هو "الاسلام" و هو فی الحالة:

۱ـ فی ظلال القرآن الجزء ۱۳ ص ۳۵

الاستسلام المطلق للقوامة الالهية و التلقى من هذا لمصدر و حده فى كل شأن من شئون الحياة. و التحاكم إلى كتاب الله المنزل من هذا المصدر . و اتباع الرسل الذين نزل عليهم الكتب و هو فى صميمه كتاب واحدو هو فى صميمه دين واحد.. الاسلام ... بهذا المعنى الواقعى فى ضمائر الناس و واقعهم العملى على السواء و الذى يتلقى عليه كل المؤمنين اتباع الرسل كل فى زمانه. متى كان معنى اسلامه الاعتقاد بوحدة الالوهية والقوامة والطاعة والاتباع فى منهج الحياة بلا استثناء" ١.

و فى سياق اثار الاستاذ سيد قطب قضية اثر تنحية الاسلام عن قيادة العالم البشرى و وصل إلى النتيجة التالية:

"و لقد كان اثر تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثا هائلا فى تاريخها و نكبة قاصمة فى حياتها، نكبة لم تعرف البشرية فى كل ما ألم بها من نكبات". ٢

١ـ فى ظلال القرآن الجزء الثالث ص ١٢٩

٢ـ مقدمة فى ظلال القرآن الجزء الاول ص ٩

الفصل الرابع

الروح القرآنى

الروح القرآنى

إن اي إنسان حينما يفسر شيئا او يقوم بشرح متن ما ، فإن تصوره عن ذلك و كيفية علاقته به ثم شمولية شعوره فيه يؤثر على تفسيره و شرحه.

فالذى يرى القرآن من حيث انه كتاب فريد من نوعه فى الادب والمعانى والبلاغة والاسلوب و فى بيان المسائل ، يرتكز على ذلك الجانب اكثر مما ينبغى. و من رأى بنظرة كلامية فإنه لايرى فيه إلا المسائل الكلامية ومن رأى نصوصه من حيث انه يتحدث عن الطبيعة و ظواهرها فإنه يجد فيه مايرى. و لذلك نرى عدة تفاسير ألفها اصحابها لبيان فكرتهم الفردية. كما نرى عددا من التفاسير المتواجدة لدينا من قبل و فى هذا الزمان.

و حين ندرس تفسير "فى ظلال القرآن" فلا بد أن نعرف أن المفسر كيف ينظر إلى القرآن الكريم و ما هو تصوره عنه . فاذا امعنا النظر فى هذا التفسير من هذه الناحية نصل إلى نتيجة أن سيد قطب لا يرى القرآن ككتاب لغة و لا كتاب نحو و لا كتاب قصة او تاريخ و لا كتابا يوضح مسائل الفقه و لا مسائل الكلام و البلاغة: فما ذا اذا؟

لمعرفة هذا نعود إلى كلماته التالية:

" كما اتمنى أن اوفق فى الهدف البعيد الذى ارجوه من لواحقه: ذلك الهدف البيعيد، هو إعادة عرض القرآن واستحياء الجمال الفى الخالص فيه. وإستنقاذه من ركام التأويل و التعقيد و فرزه من سائر الاغراض الاخرى التى جاء لها القرآن". ١

وبناء ا على هذه الكلمات يمكن لنا القول أن سيد قطب يعتبر القرآن كتابا حركيا ، كتابا ذا حياة و نور، كتابا ذا هداية و رشد و كتابا يكشف عن

١ـ مشاهد القيامة لسيد قطب ص ١٠

دستور الحياة لكافة الإنسانية و إنه كتاب يغير الأوضاع السابقة و يبدل الكيان البشرى كله.

و هنا نذكر بعض النصوص من تفسيره التى هى خير شاهد على مانقول و مثل هذه النصوص منتشرة فى تفسيره كله تصوغ تفسيره فى الطابع واللون الذى يريده. ماذا يريد هو بقراء ة القرآن يتجلى من عبارته التالية:

"إن هذاالقرآن ينبغى أن يقرأ و أن يتلقى من اجيال الأمة الإسلامية بوعى، و ينبغى أن يتدبر على أنه تو جيهات حية تتنزل اليوم لتعالج مسائل اليوم و يستنير الطريق إلى المستقبل لا على أنه مجرد كلام جميل يرتل او على انه سجل لحقيقة مضت و لن تعود... و سنجد عندئذ فى القرآن متاعا و حياة و سندرك معنى قوله تعالى ((يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم)) فهى دعوة للحياة .... للحياة الدائمة المتجددة. لا لحياة تاريخية محدودة فى صفحة عابرة من صفحات التاريخ". ١

و هكذا يرى سيد قطب القرآن نورا مبينا يهدى الإنسان فى جميع انحاء الحياة ويعين له طريق الحق و يبين الفرق بين الحق و الباطل و المعروف و المنكر و يهدى من له فكرة صالحة و وعى و قلب كما هو يقول:

"و فى هذاالقرآن نور ((وانزلنا اليكم نورا مبينا)) نور تتجلى تحت اشعته الكاشفة حقائق الاشياء واضحة و يبدو مفرق الطريق بين الحق و الباطل محددا مرسوما فى داخل النفس و فى واقع الحياة سواء حيث تجد النفس من هذا النور ماينير جوانبها اولا فترى كل شيئ فيها و من حوله واضحا حيث

١ـ فى ظلال القرآن الجزء الثانى ص ٢١٨

يتلاشى الغبش و ينكشف و حينئذ تبدو الحقيقة بسيطة كالبديهة و حيث يعجب الإنسان من نفسه كيف كان لا يرى هذا الحق و هو بهذا الوضوح و بهذه البساطة". ١

١ـ في ظلال القرآن الجزء السادس ص ٥١

الفصل الخامس

دراسة منهجه فى التفسير

الإهتمام بدقائق التعبير القرآني:

سيد قطب فى حين يقوم بتفسير الآيات الربانية يفكر فيها فكرة عميقة حتى يخوض فى الاعماق و يقف على التعابير الدقيقة . و هكذا هو يقدر على الوصول إلى بدائع الكلام الربانى و دقائقه التى لم يصل اليها الآخرون. و فى نهاية المطاف هو يلقى الضوء على النقاط العميقة التى قد مر بها المفسرون الآخرون بدون ادراكها او الالمام بها وامثلة هذه النقاط مبعثرة فى التفسير كله و هنا نكتفى بذكر بعض منها خوفا من التطويل والإطناب.

يقول سبحانه و تعالى ((لاتقتلوا اولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم و اياكم)) و فى مكان آخر يقول نفس الشيئ كالتالى ((لاتقتلوا اولادكم من إملاق نحن نرزكم و اياهم)) هاتان الآيتان لايختلف بعضهما عن الاخرى فى معانيها الظاهرة. إلا ان سيد قطب بعد التدبر والفكر العميق جاء بنقطة تبرز الفرق البسيط فى معانى هاتين الآيتين كما هو واضح من كلماته التالية:

" ثم نقف هنا لحظة امام مثل من دقائق التعبير القرآنى العجيبة. ففى هذا الموضع قدم رزق الابناء على رزق الآباء ((نحن نرزقهم و إياكم)) و فى صورة الانعام قدم رزق الآباء على رزق الابناء ((نحن نرزقكم و إياهم)) وذلك بسبب اختلاف آخر فى مدلول النصين فهذا النص ((لاتقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقهم و اياكم)) والنص الآخر ((و لا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم و اياهم)) هنا قتل الاولاد خشية وقوع الفقر بسببهم فقُدم

التقديم والتأخير وفق مقتضى الدلالات التعبيرية هنا و هناك"١.

قد وصل سيد قطب إلى هذه النقطة على أساس احاسيسه الدقيقة و فكرته العميقة و بقدرته الفائقة على فهم مفاهيم القرآن الكامنة و لاتنكشف هذه النقاط الجليلة إلا لمن يتدبر القرآن و بالاستحضار الفكرى و الذهنى و بجميع اعماق القلب و العقل. فنلاحظ قدرته الفائقة وفكرته الدقيقة فى حين يبحث عن المفاهيم القرآنية العميقة اثناء دراسته و تعمقه فى القرآن الكريم و على سبيل المثال فى تفسير الآية ((الذى باركنا حوله)) هو يقول:

"ووصف المسجد الأقصى بأنه ((الذى باركنا حوله)) و صف يرسم البركة حافة بالمسجد، فائضة عليه، و هو ظل لم يكن ليلقيه تعبير مباشر مثل: باركنا، او باركنا فيه، و ذلك من دقائق التعبير القرآنى العجيب".٢

و كذلك يشير إلى نقطة جليلة هامة فى تفسير آية من سورة النور التى تامر ا لمسلمين ان يستاذنوا رب البيت قبل الدخول. ((يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا او تسلموا على اهلها))

يفسر سيد قطب هذه الآية قائلا:

" و يعبر الاستئذان بالاستئناس . هو تعبير يوحى بلطف الإستئذان ولطف الطريق الذى يجئ بها الطارق، فتحدث فى نفوس اهل البيت انسا به، واستعدادا لإستباله و هى لفتة دقيقة لطيفة لرعاية احوال النفوس و لتقدير ظروف الناس فى بيوتهم و مايلابسها من ضرورات لايجوز ان يشقى بها اهلها و يخرجوا امام الطارقين فى ليل او نهار".٣

وعلى اساس هذه الامثلة علينا ان نقيس مدى دقة فهم المفسر للتعبيرات القرآنية الخاصة.

١- فى ظلال القرآن الجزء ١٥ ص ٢٩
٢- فى ظلال القرآن الجزء ١٥ ص ١٢
٣- " الجزء ١٥ ص ٨٨

لقد ابرز سيد قطب فى تفسيره افقا آخرا من آفا ق البلاغة القرآنية والاسلوب القرآنى وهو التناسق الفنى او الإعجاز الفنى او التصوير الفنى الزاخر فى الآيات القرآنية. و ليس باستطاعنا ان نقول أن المفسرين القدامى لم يكونوا يدركون اهمية التناسق الفنى او لم يكن له اهتمام بالتصوير الفنى الموجود فى القرآن. بل كانوا يستشعرون باهمية هذا الموضوع إلا أنهم لم يبيونه على نطاق اوسع كما فعل سيد قطب فى تفسيره الجليل. فإنه قد أوضح و أبرز هذا الموضوع للقارى على طريق سهل و بحث عنه و كتب عنه بطريق مقنع حتى صار هذا الأفق واضحا لكل من له رغبة فى مطالعة القرآن. فى هذا الخصوص يطرح سيد قطب فكرته : ان القرآن يرسم الصور و يعرض المشاهد و يحرك التخييل و هذا افق جميل من آفاق التناسق الفنى فى القرآن. فقال:

"إن هذه المشاهد و تلك الصور ، يتوافر لها ادق مظاهر التناسق الفنى فى ماء الصورة و جوّ المشهد، و تقسيم الاجزاء و توزيعها فى الرقعة المعروضه".

إن سيد قطب قد بين هذا التناسق بصورة اوضح فى كتابه الشهير "التصوير الفنى فى القرآن". فإنه يرى أن طريقة التصوير هى اجمل الطرق التى يعبر بها الإنسان عن خوالج صدره و خفايا ذهنه و فكرته . لماذا يعتبر سيد قطب التناسق الفنى من احسن طريق البيان وضح هذه النقطة قائلا:

"اولا: ما يسمى'بوحدة الرسم' و حتى المبتدء ون فى القواعد يعرفون شيئا عن هذه الوحدة ، فلسنا فى حاجة إلى شرحها. و يكفى أن نقول: إن القواعد الاولية للرسم تحتم أن تكون هناك وحدة بين أجزاء الصورة فلاتتنافر جزئياتها"

ثانيا: توزيع اجزاء الصوره . بعدتناسبها على الرقعه بنسب معينه حتى لا يزحم بعضها بعضا، و لا تفقد تناسقها فى مجموعها.

ثالثا: اللون الذى ترسم به ، والتدرج فى الظلال، بما يحقق الجو العام المتسق مع الفكرة و الموضوع - والتصوير بالألوان يلاحظ هذا التناسق كما يلاحظه "التوزيع" فى المشاهد المسرحية والسنمائية . و التصوير فى القرآن يقوم على اساسه ، وإن كانت وسيلته الوحيدة هى الألفاظ ، ولذلك يسمو الإعجاز فيه على تلك المحاولات". ١

وفيما يلى نقدم بعض الأمثلة فى ضوء الكلمات المذكورة اعلا يقول سيد قطب فى تفسير آيات سورة النحل ((و أوحى ربك إلى النحل أ اتخذى من الجبال بيوتا... إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون)) (آيـ ٦٨.٦٩)

اذ جاء رجل إلى النبى ﷺ و شكا استطلاق بطن أخيه و امره النبـ ﷺ بإسقاء العسل فذهب وسقى أخاه العسل فلم يفده ذلك ثم جاء و شكـ نفس الشيئ فامره النبى ﷺ بإعادة العمل فبرئ . إن العسل نعمة من الل تعالى و قال "فيها شفاء للناس" . ويقول سيد قطب مزيدا من الضوء عل التناسق الفنى فى القرآن قائلا:

"و نقف هنا امام ظاهرة التناسق فى عرض هذه النعم. إنزّل الماء من السماء . و اخراج اللبن من بين فرث و دم . وإخراج السكر و الرزق الحسن من ثمرات النخيل و الاعناب . و العسل من بطون النحل..... إنها كلها اشربة تخرج من اجسام مخالفة لها فى شكلها و لما كان الجو جو اشربة فقد عرض من الأنعام لبنها و حده فى هذا المجال تنسيقا لمفردات المشهد كله. و سنرى فى الدرس التالى أنه عرض من الأنعام جلودها و اصوافها و اوبارها لأن الجو هنا كان جو اكنان و بيوت و سرابيل فناسب أن يعرض من الأنعام جانبها

١ـ التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب ص ٩٤ـ٩٥

الذى يتناسق مع مفردات المشهد..... و ذلك افق من آفاق التناسق الفنى فى القرآن".١

و فى موضع آخر يقول فى قول سبحانه تعالى ((ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك و قد احطنا بما لديه خبرا))

"و لقد اعلن ذوالقرنين من قبل دستوره فى الحكم فلم يتكرر بيانه هنا ولا لفرقه فى رحلة المشرق لأنه معروف من قبل قد علم الله كل ما لديه من افكار و اتجاهات.

ونقف هنا وقفة قصيرة امام ظاهرة التناسق الفنى فى العرض فإن المشهد الذى يعرضه السياق هو مشهد مكشوف فى الطبيعة الشمس ساطعة لا يسترها عن القوم ساتر و كذلك ضميرذى القرنين ونواياه كلها مكشوفة لعلم الله و كذلك يتناسق المشهد فى الطبيعة و فى ضمير ذى القرنين على طريقة التنسيق القرآنية الدقيقة".٢

فى تفسيرآيتى سورة الحديد ((يوم ترى المؤمنين و المؤ منٰت يسعى نورهم بين أيديهم ..... الخ ..... و يوم يقول المنٰفقون و المنٰفقت للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ..... الخ. قد اشار سيد قطب إلى تناسق فنى موجود فى هذه الآيات قائلا:

" و ننظر من ناحية التناسق الفنى فى عرض المشهد، فنجد فى اختيار مشهد النور فى هذا الموضع بالذات حكمة خاصة . إن الحديث هنا عن المنافقين و المنافقات..... والمنافقون و المنافقات يخفون باطنهم و يتظاهرون بغير ما فى الضمير المكنون ويعيشون فى ظلام من النفاق و الدس و الوقيعة . والنور يكشف المخبوء و يفضح المستور كما انه الصفحة المقابلة الوضيئة لصفحة النفاق المظلمة المطموسة . فهو اليق شيئ بأن تطلق اشعته على المشهد

١- فى ظلال القرآن الجزء ١٤ ص ٧٩
٢- " الجزء ١٦ ص ١٣

الكبير . و بأن ينير بين ايدى المومنين و المومنات بأيمانهم، بينما المنافقون في الظلام الذى يناسب ظلمات الضمير و ظلمات الخفاء المستور !" ١

و كذلك يقول فى تفسير سورة اللهب مشيرا إلى التناسق اللفظى و التناسق الصوتى كما يلى :

" التناسق..... فى جرس الكلمات مع الصوت الذى يحدثه شدة احمال الحطب و جذب العنق بحبل من مسد. اقرء ((تبت يدا ابى لهب و تب)) تجد فيها عنف الحزم و الشدا الشبيه بحزم الحطب و شده. و الشبيه كذلك بغل العنق و جذبه والشبيه بجو الحنق والتهديد الشائع فى السورة .

و هكذا يلتقى تناقس الجرس الموسيقى مع حركة العمل الصوتية، يتناسق الصور فى جزئياتها المتناسقة يتناقس الجناس اللفظى و مراعاة النظير فى التعبير..... ويتم هذا كله فى خمس فقرات قصار....." ٢

وامثال هذا التناسق الفنى منتشرة فى تفسيره و قد ابرزها سيد قطب باسلوب بارع يجذب اذهان القارئ إليها بدون أية عوائق كما يحث الإنسان على مزيد من التدبر و التفكر فى الآيات الربانية.

١ـ فى ظلال القرآن الجز ٢٧ ص ١٦٦

٢ـ فى ظلال القرآن الجزء ٣٠ ص ٧٨٤

علم المناسبات علم جليل لان نظم الكلام جز ء هام للبيان العلمى و الأدبى والجهل عنه يؤدى إلى قصور فهم المعانى عامة و قصور فهم معانى القرآن خاصة. و ليس هذا العلم علما جديدا بل اعتنى به المفسرون منذ القديم و الف بعضهم كتبا و رسائل مستقلة فى نظام القرآن.

والذى رفع من شأن هذا العلم الجليل هو الأستاذ حميد الدين الفراهى حيث صاغ له اصولا و قواعد. و جعل لبحثه و تلمسه مناهج و معالم. و من قبله كان هذاالعلم منحصرا على تذوق الملتمس بدون اسس قوية علمية يجب اتباعها عند البحث والتحقيق وقد قدم الاستاذ الفراهى هذاالموضوع اى موضوع نظام القرآن فى صورة واضحة جلية شاملة . و لا نجد مثل هذا الوضوح الشامل عند المتقدمين الآخرين و لاسيما عند البحث عن عمودالسور بحيث تنجلى كل السور كالتوأم. و قسم الفراهى القرآن الكريم إلى سبعة اجزاء و كما اثبت الترابط الوثيق بين السور حيث تبدو مقدمة الكتاب مرتبطة بخواتمه .

لقد ألف الاستاذ الفراهى عدة رسائل و الكتب فى علوم القرآن بما فى ذلك 'نظام القرآن' وفسر ايضا بعض السور المتفرقة.

و سلك مسلك الفراهى تلميذه الرشيد الشيخ امين احسن الاصلاحى فى تفسيره المعروف ''بتدبرالقرآن'' (باللغه الاردية) و تلميذ تلميذه الشيخ محمد عنايت الله السبحانى فى كتابيه ''امعان النظر فى نظام الآى والسور'' و ''البرهان فى نام القرآن''.

و إن تأملنا فى تفسير سيد قطب من هذه الناحية وجدناه موفقا فى

كثير من المواضع. فنلاحظ فى تفسيره صورة المناسبة واضحة فى كثيرة من السور. و هذا بالرغم من انه لم يعتن بهذاالعلم اعتناء ا كاملا مثل الاستاذ الفراهى و كلما نعثر على صورة المناسبة فى تفسيره نستنج منها أنه لم يكن يجهل عن هذا العلم و لم يكن غافلا عنه اثناء كتابة تفسيره و لتدعم قولنا هذا نقتبس بعض الامثلة من تفسيره فهو يقول فى تفسير سورة العنكبوت:

"والسورة كلها متماسكة فى خط واحد منذ البدء إلى الختام ..... إنها تبدأ بعد الحروف المقطعة بالحديث عن الايمان و الفتنة و عن تكاليف الإيمان الحقة التى تكشف عن معدنه فى النفوس فليس الإيمان كله تقال باللسان إنما هو الصبر على المكاره والتكاليف فى طريق هذه الكلمة المهفوفة بالمكاره والتكاليف.

ويكاد هذا ان يكون محور السورة و موضوعها فإن سياقها يمضى بعد ذلك المطلع يستعرض قصص نوح و ابراهيم و لوط و شعيب و قصص عاد و ثمود و قارون و فرعون و هامان استعراضا سريعاً يصور الوانا فى العقبات و الفتن فى طريق الدعوة إلى الإيمان على امتداد الأجيال." ١

ثم يقول فى نفس السورة يعرض الاقتباس الطويل . و بعد يشير إلى الربط الموجود بين الحق الذى فى تلك الدعوات و بين الحق الذى فى خلق السموات والارض و يحاول اثبات الوحدة بين هذه الدعوات باجمعها وبين دعوة محمد ﷺ فى النهاية يصل إلى نتيجة ان جميع هذه الدعوات كانت من عندالله.

يختم السورة بتمجيد المجاهدين فى الله وطمأنيتهم على الهدى و تثبيتهم ((والذين جاهدو فينا لنهدينهم سبلنا و ان الله لمع المحسنين)) و هكذا يتصل الختام بالحلقات الاولى من السورة و تتضح حكمة السياق فى

١ـ فى ظلال القرآن الجزء ٢٠ ص ١٠٢ـ١٠٣

سياق السورة و يبدو ان حلقاتها تدور حول محور واحد و موضوع رئيسى و هذا اسلوب علمى يقنع القارى تماما . ومع كل هذا نلاحظ أن فى بعض المواضع لم يستطع هذا الأسلوب المقنع أو كأن المناسبات أو النظام لم تنكشف له و لم تتضح ذلك الوضوع فمثلا فى سورة الأنعام يتخذ اسلوبا آخر فيقول:

" وهى تشبه فى سياقها المتدافع بهذه المشاهد والمواقف والموحيات والإيقاعات و الصور والظلال مجرى النهر المتدافع بالامواج المتلاحقة ماتكاد الموجة تصل إلى قرارها حتى تبدوا الموجة التالية ملاحقة لها متشابكة معها فى المجرى المتصل المتدفق". ١

و هذ الاسلوب مع قوته الأدبية لايعطى صورة النظام واضحة و لاسيما عمود السورة و محورها لا يتضحان بشكل كامل.

من كل ما ذكرناه يتضح أن سيد قطب قد ركز عنايته على المناسبات الداخلية اى النظام بين آيات السورة . اما المناسبة الخارجية بين السور فانه لايهتم بها مع أننا نلاحظ أن الاستاذ الفراهى قد اعتنى بهذا الجانب بصورة جذابه ولا يعنى ذلك ان سيد قطب كان غافلا عن اهمية النظام الخارجى الموجود بل قد أشار إليه فى حين تجلى له هذا النظام بصورة واضحة فمثلا يقول فى صورة إخلاص:

"هذه السورة اثبات و تعزيز لعقيدة التوحيد الاسلامية كما أن سورة الكافرون نفى لأى تشابه أ و التقاء بين عقيدة التوحيد و عقيدة الشرك. وكل منهما تعالج حقيقته من وجه و قد كان الرسول ﷺ يستفتح يومه. فى صلاة سنة الفجر بالقراء ة بهاتين السورتين. و كان لهذا الافتتاح معناه و مغزاه."٢

١ـ فى ظلال القرآن الجزء الثانى ص٩٦

٢ـ ' الجزء ٣٠ ص ٢٠٩

و أرى أنه لو اهتم و اعتنى بهذا الجانب لكان له شأن آخر و تتفتح له آفاق جديدة نستقف منهما موضوع التناسق الفى و التصوير الفنى فى القرآن بصورة اوضح حيثت تتجمع الصور البيانية فى اسلوب متماسك لا اعوجاج و لا خلل فيه.

الأسلوب الأدبى

يتصف تفسير سيد قطب "فى ظلال القرآن" بالأسلوب الأدبى الرفيـ الذى لايوجد مثله فى التفاسير الأخرى المعاصرة. فعند قرائته يحس الإنسان أن المفسر قد صور له ببراعة المشاهد الكونية و رسم له المناظ الطبيعية بحيث تلمس قلبه و روحه عذوبة أسلوب ويؤثر حسن بيانه عل عقله و ذهنه. ولانجد هذه الميزة عند أصحاب العلم الآخرين إلا نادرا.

يمكن لأى باحث أن يمر بهذه التجربة عند مطالعة تفسيره لأ تفسيره ذاخر بمثل هذا الأسلوب الرشيق . و لتدعيم قولنا هذا نتقدم فيـ يلى بما كتبه سيد قطب فى تفسيرسورة "الضحى".

و فى بداية تفسير هذه السورة إنه لفت أنظار الناس إلى أحوال النبـ ﷺ الشخصية إذ ولد هو يتيما. وسرعان ما انتقلت أمه إلى جوار رحم ربها و إثر ذلك مات عمه الشفيق الذى كان يسد احتياجاته بعد وفات أبويه فلنتصور الأوضاع الحرجة والأحوال السيئة التى يعانيها اليتامى فـ المجتمع الإنسانى.

ثم نقرأ سورة الضحى يقول سيد قطب فى بداية سورة الضحى:

"هذه السورة بموضوعها و تعبيرها ومشاهدها و ظلالها و إيقاعها لمسة من حنان، و نسمة من رحمة ، و طائف من ودّ، و يدحانية تمسح على الآلام و المواجع و تنسم بالروح والرضى والأمل، و تكسب البرد والطمانينة

واليقين". ١

وإنها كلها خالصة للنبى ﷺ و إنها مطر الحب من الله تبارك و تعالى و إنها تسرية و تسلية و ترويح و تطمين.

لقد جاء فى الآثار و الروايات أن سلسلة الوحى ذات مرة قد انقطعت ولم يزل منقطعة حتى أصبح النبى قلقا على هذا الأمر و بدأ المشركون يقولون " ودع محمدا ربه" فأنزل الله تعالى هذه السورة كفيضان الود و الحب والرحمة والرضى و الطمانينة واليقين.

((ماودعك ربك و ماقلى . وللآخرة خير لك من الاولىٰ ، و لسوف يعطيك ربك فترضى)) ... ((الم يجدك يتيما فآوى، و وجدك ضالا فهدى، و وجدك عائلا فأغنى))

و هنا نأتى باقتباس طويل لتمثيل أسلوب سيد قطب الرفيع الممتاز فيقول فى تفسير هذه الآيات :

"لقد أطلق التعبير جوا من الحنان اللطيف ، والرحمة الوديعة والرضى الشامل، والشجى الشفيف: ((ما ودعك ربك و ما قلى، وللآخرة خير لك من الاولىٰ، ولسوف يعطيك ربك فترضى))... ((الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى)) ... ذلك الحنان وتلك الرحمة ، وذاك الرضى، و هذا الشجى: تنسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة ، الرقيق اللفظ و من هذه الموسيقى السارية فى التعبير، الموسيقى الرتيبة الحركات، الوئيدة الخطوات، الرقيقة الأصداء ، الشجية الإيقاع.. فلما اراد إطارا لهذا الحنان اللطيف ولهذا الرحمة الوديعة ، و لهذا الرضى الشامل و لهذا الشجى الشفيف، جعل الإطا رمن الضحى الرائق و من الليل الساجى. اصفى الانين من آونة الليل و النهار و أشف انين تسرى فيهما التأملات. و تتصل الروح بالوجود و خالق الوجود و تحس بعبادة الكون كله لمبدعه و توجهه لبارئه

١- فى ظلال القرآن المجلد السادس ص ٣٩٢٥ ط- الحادى العشر

بالتسبيح والفرح والصفاء. و صورهما فى اللفظ المناسب. فالليل هو ((الليل اذا سجى)) لاالليل على إطلاقه بوحشته و ظلامه . الليل الساجى الذى يرق و يسكن و يصفو، و تغشاه سحابة رقيقة من الشجى الشفيف والتأمل الوديع كجو اليتيم و العيلة ثمن ينكشف و يجلى مع الضحى الرائق الصافى ... فتلتئم ألوان الصورة مع ألوان الإطار. و يتم التناسق والإتساق". ١

كيف آوى محمد ربه و كيف نور قلبه بنور الوحى والإيمان و كذلك كيف أغنى الله محمدا رسوله الكريم كلها معلوم لدى الناس".

وعندما يقرأ الإنسان تفسير هذه الآيات يصبح مفتونا بأسلوب سيد قطب الرشيق العذب و يتخيل ذهنه بأنه يعيش فى عهد النبى ﷺ و يشاهد الأحوال القلقة قد جربها النبى ﷺ بسبب تأخير الوحى و بسبب أقوال الكافرين الذين كانوا يتقولون الأقاويل فى أسلوب ساخر .

١ـ فى ظلال القرآن المجلد السادس ص ٣٩٢٦ ط-الحادى العشر

الفصل السادس

دراسة بعض المصطلحات

التوحيد

التوحيد عند سيد قطب ليس توحيد الربوبية فقط بل يشتمل الربوبية والالوهية وليس فيه اجمال و لا إبهام بل واضح كل الوضوح فى الحقيقة . إن الألوهية وأبعادها تنبثق من الربوبية. يقول سيد قطب فى تفسير سورة الإخلاص ملقيا الضوء على اهمية التوحيد: و من هنا ينبثق منهج كامل للحياة قائم على ذلك التفسير و ما يشيعه فى النفوس من التصورات و المشاعر و الإتجاهات:

"منهج للاتجاه الى الله وحده فى الرغبة والرهبة ، فى السراء و الضراء فى النعماء والبأساء والا فما جدوى التوجه إلى غير موجود وجودا حقيقاً و إلى غير فاعل فى الوجود اصلاً. ١

و فى هذا السياق سيد قطب يوضح شمولية عقيدة التوحيد . فهو يقول:

"و منهج للتلقى عن الله وحده تلقى العقيدة و التصور و القيم والموازين والشرائع والقوانين والاوضاع و النظم والآداب والتقاليد. فالتلقى لايكون الا عن الوجود الواحد والحقيقة المفردة فى الواقع و فى الضمير". ٢

و كذلك فى موضع آخر يفسر الالوهية المنبثقة من هذه الربوبية و يقول :

"إنه مع التوحيد الواضح الخالص، لامكان لعبودية إلا لله و لامكان للإستمداد والتلقى إلا من الله لا فى شريعة او نظام و لا فى ادب او خلق و لا فى اقتصاد

١ـ فى ظلال القرآن الجزء ٣٠ ص ٢٨٨

٢ـ المرجع السابق

او اجتماع. ولامكان كذلك للتوجه لغير الله فى شأن من شئون الحياة و ما بعد الحياة". ١

ثم ان قضية التوْحيد عند سيد قطب ليست قضية نظرية المختصة بالجدال الكلامى بل هى قضية هامة يكمن فى ذاتها سر الحياة الإنسانى و هى أساس يقوم عليها بناء الحياة الشامخة الناجحة. و كذلك تصور التوحيد الاسلامى ليس تصورا جامدا يعتنقه رجال متخلفون بل هو تصور يترعرع و ينمو فى نفوس حية فعالة و يظهر كحركة واقعية عملية يميط سيد قطب اللثام عن هذه الحقيقة :

"إن التصور الاسلامى للالوهية و للوجود الكونى و للحياة الانسانية تصور شامل كامل . كذلك تصور واقعى ايجابى . و هو يكره - بطبيعته - أن يتمثل فى مجرد تصور ذهنى معرفى . لان هذا ضد طبيعته و غايته . و يجب ان يتجلى فى أناس، و فى تنظيم حى، و فى حركة واقعية ، و طريقته فى التكون ان ينمو من خلا ل الاناس و التنظيم الحى و الحركة الواقعية". ٢

و يعنى ذلك ان تصور التوحيد عند سيد قطب تصور ديناميكى يغرق هذا التصور الذهن الانسانى بنوره و يتحرك به الحياة الفانية كلها .

و فى هذا السياق أود ان أشير إلى قضية هامة و هو قضية وحدة الوجود هل كان سيد قطب يتمسك بها و هل كان يعنيها بقوله "احدية الوجود" و بالتأمل فى عبارة سيد قطب هنا و هناك من تفسيره يتبين لنا جليا انه لم يكن يعنى باحدية الوجود الا التوحيد الخالص وكلما يستخدم هو التعبير "وحدة الوجود" فهو يعنى بذلك وحدة الوجود و المخلوقات كلها بحيث ان خالقها واحد لاغير. والدليل على ما قلت توضيحه فى تفسير سورة الاخلاص عندما ينتقد غلاة الصوفية الذين يؤمنون بوحدة الوجود :

" و هذه هى مدارج الطريق التى حاولها المتصوفة فجذبتهم إلى بعيد". ٣

١ـ فى ظلال القرآن الجزالثالث ص ١٤٣

٢ـ فى ظلال القرآن الجزء العاشر ص٢٠٤

٣ـ فى ظلال القرآن الجزء ٣٠ ص ٤٠٠٣ ط-الحادى عشر

الشرك

إن انكرالاعمال و ابغضها عند الله هو الشرك، اذ يقول الله سبحانه و تعالى ((إن الشرك لظلم عظيم)) و لهذ الشرك أنواع و أقسام و احوال و كوائف . إن قضية الشرك لمعقدة و لذلك لو اصيب احد بقد رقليل من الشرك يسد أمامه طريق الفوز و النجاح ، و ليس الشرك ان لا يقر الإنسان بتوحيد الله تبارك و تعالى فقط بل له اشكال متنوعة و صغيرة لا يدرك بها المشرك فى اكثر الأحيان و كذلك لايشعر بخطورة امرها.

قد قام سيد قطب بدراسة دقيقة عن هذالمرض الفتاك فهو يبين الشرك قائلا:

"أن الشرك بالله يتحقق بمجرد إعطاء حق التشريع لغير الله من عباده و لو لم يصحبه شرك فى الإعتقاد بألوهية و لا تقديم الشعائر التعبدية له" .١

و فى مكان آخر يوضح الاشكال الجديدة للشرك و يقول ان الناس يتورطون فى الشرك مع انهم لاينكرون بالتوحيد . هذا افتك و اخطر الصور من الشرك التى يرتكبها افراد الامة المسلمة مع ادعائهم بأنهم يؤمنون بالله و رسوله ويشير سيد قطب إلى هذا الجانب و نقتبس اقتباسا طويلا لغاية الإيضاح و هو يقول:

"ان المعنى الاول للدين هو الدينونة اى الخضوع والإستسلام والاتباع. و هذا يجلى فى اتباع الشرائع كما يتجلى فى تقديم الشعائر والامر جد لايقبل التميع فى اعتبار من يتبعون شرائع غير الله دون انكار منهم يثبتون به عدم الرضا عن الافتئات على سلطان الله مؤمنين بالله مسلمين . لمجرد انهم

١ـ فى ظلال القرآن الجزء العاشر ص ٢٠٤

يعتقدون بألوهية الله سبحانه و يقدمون له وحده الشعائر و هذا التميع هو اخطر ما يعانيه هذا الدين فى هذه الحقبة من التاريخ و هو افتك الاسلحة التى يحارب بها اعدا ء ه..... و اذ كان اعداء هذا الدين يحرصون على تثبيت لافتة الاسلام على تلك الاوضا ع ، و هؤلاء الاشخاص. فواجب حماة هذا الدين ان ينزعوا هذه الافتات الخادعة و ان يكشفوا ماتحتها من شرك و كفر و اتخاذ ارباب من دون الله" . ١

و من الحقيقة المرة ان بعض الافراد من الامة المسلمة مع ادعاء ايمانهم بالله وحده و شريعته التى ارسلها برسوله ﷺ يعطون حق التشريع الحكام و الرؤساء الذين يأمرون ما يشاء ون بدون خوف من الله و بدون رعاية ما يأمره هو. و إلى هذا الامر لقد اشار القرآن قائلا ((من اشرك بالله فكانما خر من السماء)) و لذلك نرى ان المسلمين فى الوقت الحاضر 'غثاء كغثاء السيل و تتداعى عليهم الامم كما تداعى الآكلة إلى قصعتها'. و يظلمون و يقهرون فى كل انحاء العالم حيث لاثقل و لاوزن لهم فى الامور الدنيوية.

النفاق

عندما يتناول سيد قطب كلمة النفاق للبحث والتدقيق لايأتى كما هو المعتاد منه بتعريف هذه الكلمة منقطيا فحسب بل يبرز جميع سماتها و صفاتها فى ضوء اعمال الرجل المنافق لكى تكون الصورة اكثر وضوحا و اكثر تاثيرا و اقرب فمهما و ابعد من الجدال النقاش . وكان رسولنا الكريم

١ـ فى ظلال القرآن الجزء العاشر ص ٢٠٤ـ٢٠٥

يختار نفس الاسلوب والمنهج فسلك سيد قطب مسلك الرسول فى توضيح كلمة 'المنافق' كما هو واضح فى قوله التالى :

"المنافقون والمنافقات من طينة واحدة و طبيعة واحدة المنافقون فى كل زمان و فى كل مكان تختلف افعالهم و اقوالهم ولكنها ترجع إلى طبع واحد و يصنع من معين واحد سوء الطوية و لؤم السريرة و الغمز والدس و اضعف عن المواجهة والجبن عن المصادفة . تلك سماتهم الا صيلة. اما سلوكهم فهو الامر بالمنكر و النهى عن المعروف و البخل بالمال" .١

و لقد تحدث سيد قطب عن كلمة النفاق حيثما و جدت هذه الكلمة فى القرآن بالايجاز أو بالإطناب لان امر النفاق امر خطير والانخداع به اكثر وقوعا و قد اشار سيد قطب إلى الجوانب الهامشية لاعمال المنافقين و منها السكوت على ما يسخر المنافقون من أعمال الدين الاسلامى وعدم اظهار الغضب على سلوكهم تحت شعار حرية الراى و التعبير . وهذا امر شائع فى هذا الزمان و تحتاج الى دراسة و الى حكم واضح . كما يتبين من كلمات سيد قطب التالية:

" واول مراتب النفاق ان يجلس المؤمن مجلسا يسمع فيه آيات الله و يكفر بها و يستهزأ بها فيسكت و يتغاضى، يسمى ذلك تسامحا او يسميه دهاء او يسميه سعة صدر و أفق و ايمانا بحرية الرأى و هى هزيمة داخلية تدب فى اوصال و هو يموه على نفسه فى اول الطريق حياء ا منه ان يأخذ ه نفسه متلبسا بالضعف و الهوان". ٢

و بعد هذا كله يذكر سيد قطب ما يرجى من رجل مؤمن و من قلب مفعم ينور بنور الإيمان و الحمية الاسلامية فى امثلة هذه الاوضا ع المضادة للتعاليم الاسلامية الحنيفة فيقول سيد قطب :

"فمن سمع الاستهزاء بدينه فى مجلس فاما ان يدافع و اما ان يقاطع المجلس

١- فى ظلال القرآن الجزء العاشر ص ٢٤٩-٢٥٠

٢- فى ظلال القرآن الجزء الخامس ص ٢٦١

و اهله . فاما التغاضى و السكوت فهو اول مراحل الهزيمة و هو المعبر بين الايمان و الكفر على قنطرة النفاق". ١

هذه الكلمات القيمة ذات اهميةبالغة لأن فى الزمان الحاضر كثيرا ما نشاهد سلوكا اجتماعيا سيئا ولا يرد عليه اما بسبب الضعف والهوان او بسبب المصلحة المزعومة المقترنة بالجبن والإنحلال الخلقى.

١ـ فى ظلال القرآن الجزء الخامس ص ٢٦١

الفصل السابع

المقارنة بين التفسيرين
'المنار' و 'فى ظلال القرآن'

المقارنة بين التفسيرين "المنار" و "فى ظلال القرآن"

قام الشيخ محمد عبده فى مصر و البلدان العربية الأخرى بنهضة علمية مباركة وكانت هذه النهضة ترتكز على الوعى الإسلامى و ادراك المفاهيم الإسلامية الإجتماعية وادراك ما يقدم الإسلام من حل مشاكل الحياة الحديثة . والشيخ محمد عبده كان يلقى المحاضرات فى التفسير بالأزهر الشريف حيث لازمه كثير من طلابه و مريديه. فكان الشيخ رشيد رضا صاحب 'المنار' الذى التحق بهذه الدروس و ضبطها . فظهر جميع ماألقى فى هذه المحاضرات فى شكل كتاب بعنوان تفسير "المنار" . و هذا التفسير يستهل لفاتحة القرآن و ينتهى إلى قوله تعالى ((رب قد آتيتنى من الملك و علمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السمٰوات والأرض)) (سورة يوسف : ١٠١)

فمحاضرات الشيخ محمد عبده ماكانت مجرد كلمات و جمل بل كانت حركة علمية و حركة تفسيرية جديدة استلفت أنظار الناس إلى القرآن الكريم للبحث عن مشاكل الحياة الجديدة. وكذلك استلفت عيونهم إلى ما يقدم القرآن من الحلول للقضايا الإجتماعية الإنسانية المعاصرة . وهذه الحركة تؤمن بأن القرآن هو دستور الحياة و يمكن إنطباقه فى العصر الحديث لتشكيل مجتمع صالح . كما تم ذلك قبل القرون.

الشيخ رشيد رضا كان من أكبر مؤيدى هذه الحركة. فكان يشاهد الروح الثورى فى القرآن و مايقدم هذا الكتاب من حل لمشاكل الحياة الإنسانية فردية كانت أو اجتماعية، اقتصادية كانت او سياسية . والتفسير أيضا يرد على ما أثير من الشكوك و الشبهات حول الإسلام من قبل معانديه.

فلنرى غاية تفسير "المنار" بلسان المفسر نفسه فهو يقول فى بداية تفسيره :

" كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ماكتب فى التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، و الهداية السامية ، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب و قواعد النحو و نكت المعانى ومصطلحات البيان ومنها ما يصرف عنه بجدل المتكلمين و تخريجات الأصوليين و استنباطات الفقها ء المقلدين و تأويلات المتصوفين... ".١

ثم يصرح غاية تأليف هذا التفسير قائلا :

"فكانت الحاجة الشديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذى يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة فى وصفه و ما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح ..... ثم إلى مقتضى حال هذا العصر فى سهولة التعبير، و مراعاة افهام صنوف القارئين، و كشف شبهات المشتغلين بالفلسفة و العلوم الطبيعة وغيرها".٢

هكذا يحاول الأستاذ رشيد رضا أن يفسر الكتاب العزيز من حيث هو دين يرشد الناس إلى مافيه من سعادتهم فى حياة الناس الدنيوية والأخروية.

و مع العلم بما ذكرنا عن تفسير "المنار" وعن فكرة صاحبه فى التفسير يمكن بنا القول أن تفسير سيد قطب جزء من جزء هذه الحركة التفسيرية التى قامت فى القرن العشرين. والتفسيران كلاهما يشتركان فى الغاية و الهدف و النتيجة والمؤثرات على المجتمع العربى .

١ـ المنار المجلد الاول ص ٩

٢ـ المنار المجلد الاول ص ١٠

إلا أن تفسير رشيد 'المنار ' لم يكتمل و ذلك لأن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده قد عاجلت المنية و التفسير المذكور فى الحقيقة مبنى على افادات الأستاذ محمد عبده.

و اذا نمعن النظر فى كلا التفسيرين ''المنار'' و ''فى ظلال القرآن'' نرى أن نفس الروح القرآنى تسرى فى افكار كلا المفسرين .و نستشف هذا من مقدمتى التفسيرين إذ يقول الأستاذ سيد قطب فى مقدمة تفسيره :

"فعقيدة المؤمن هى وطنه و هى قومه، وهى أهله.... و من ثم يتجمع البشر عليها وحدها". ١

و نجد نفس الفكر يتجلى فى كلمات الأستاذ رشيد رضا التالية:

"إن المسلمين ليس لهم جنسية إلا دينهم ، فهم إخوة لايجوز أن يفرقهم نسب و لالغة و لا حكومة". ٢

و نتحير اذ نرى تشابها كاملا فى فكرتهما كأن ذهنهما واحد و فكرتمها واحدة و يفكران فى جهة واحدة و هذا واضح من الحقيقة أن كليهما يخصصان مكانة عليا للإنسان يعتبرانه 'سيدا لأرض' وقد استخدما 'سيد الأرض' للإنسان فيقول الأستاذ رشيد رضا فى مقدمة تفسيره :

"فالإنسان سيد الأرض ، وصلاحها و فسادها منوط بصلاحه و فساده، و ليست الثروة و لا وسائلها من صناعة و زراعة و تجارة هى المعيار لصلاح البشر". ٣

وقد كرر سيد قطب نفس الرأى فى تفسير الآية ((و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة)) (البقرة: ٣٠)

"إن الإنسان سيد هذه الأرض و من اجله خلق كل شيئ فيها..

إن الإنسان فى الأرض هو الدور الأول فهو الذى يغير و يبدل فى أشكالها و فى ارتباطاتها ، هو الذى يقود اتجاهاتها و رحلاتها . و ليست وسال الإنتاج و

١- فى ظلال القرآن المجلد الاول ص ١٢ ط- الحادى العشر
٢- المنار المجلد الاول ص ١١
٣- المنار المجلد الاول ص ٦

وهذه التوارد الفكرى يظهر من مجهج تفسيرهما إذ نرى أن كليهما يأخذان العقل السليم و الحقائق الكونية والدلائل العلمية والمعارف الإجتماعية أساسا لتفسيرالقرآن الكريم و كذلك نراهما يشتركان فى الدلائل العقلية.

إلا أن الأستاذ رشيد رضا قصب السبق فى هذا المجال كما هو واضح من كلمات رشيد رضا الآتية التى يؤكد فيها على أهمية العقل فى أمور الدين يقول :

"أما الإنسان فلم يكن من خاصة نوعه ان يتوفر له مثل ذلك الإلهام ، فحباه الله هداية هى اعلى من هداية الحس والإلهام، و هى العقل الذى يصحح غلط الحواس و المشاعر ويبين اسبابه، و ذلك أن البصر يرى الكبير على البعد صغيرا. و يرى العود المستقيم فى الماء معوجا، و الصفراوى يذوق الحلو مرا، والعقل هو الذى يحكم بفساد مثل هذه الإدراك". ٢

هكذا حاول صاحب المنار ان يبرز مكانة العقل فى مجالات العلم و العرفان، و فى رأيه لاتستكمل عقيدة التوحيد بدون العقل و لذلك كل من يشرك بالله هو فى الحقيقة اقل الناس عقلا واكثرهم جهلا وكذلك يرى رشيد رضا أن العقل هو الذى بنيت عليه أصول الدين فى العقائد و فى حكمة التشريع فلابد للعقل ان يدرك حكمتها و عمقها حتى استبان له ما فيهما من الحق و العدل و مصالح العباد .

و من هنا كان الأستاذ رشيد رضا صاحب المنار أشد معارضا للتقليد الاعمى والاتباع على الجهل بدون البصيرة، و ذلك لأنه كان يريد كسر الجمود فى الأمة المسلمة و لا يتحقق هذا إلا أن يتخذ المسلمون الهداية لحياتهم من الكتاب المنير. و يقول فى آية من سورة البقرة ((مثل الدين

١ـ فى ظلال القرآن المجلد الاول ص ٧١ـ٧٢

٢ـ المنار المجلد الاول ص ٦٣

كفرو كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ا و نداء ا صم بكم عمى فهم لايعقلون))

"الآية صريحة فى أن التقليد بغير عقل و لاهداية هو شأن الكافرين ، وأن المرء' لايكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه و عرفه بنفسه حتى اقتنع به. فمن ربى على التسليم بغيرعقل و العمل - و لو صالحا - بغير فقه فهو غير مؤمن. لأنه ليس القصد من ا لإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد منه أن يرتقى عقله و تتزكى نفسه بالعلم بالله و العرفان فى دينه ، فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته". ١

و لأجل ذلك كله كان رشيد رضا دائما يؤكد على أهميه العقل وتزكيته حتى يكون صافيا و قابلا لإدراك ما تستبين له من حكمة الشرائع و عمق العقائد الدينية.

وبالرغم من الحقيقة أن سيد قطب لم يبلغ إلى هذا الشأو فى توكيد أهمية العقل إلا أنه قد اصر مرارا و تكرارا على اختيار المنهج العلمى عند كتابة تفسير القرآن و هذا الإصرار يدل على انه قد درس دراسة عميقة لمشاكل الحياة المعاصرة وشاهد ماعليها الحياة من الخلل والفساد خاصة فى حياة الناس المثقفين المهذبين المرعوبين كما درس عن كثب الأوضاع الإجتماعية بمنتهى الدقة حتى ادرك القضايا النفسية لإنسان عصرنا الحاضر. و لتوضيح هذه النكتة نقدم فيما يلى عبارة مقتبسة من تفسيره فيقول فى تفسير سورة التكوير:

" ((واذا البحار فجرت) فتفجير عناصر ها و انفصال الإيدروجين عن الأوكسيجين فيها. او تفجر ذراتها على نحو مايقع فى تفجير الذرة ، و هو أشد هولا، او على اى نحو آخر. و حين يقع هذا فإن نيرانا هائلة لايتصور مداها تنطلق من البحار. فإن تفجير قدر محدود من الذرات فى القنبلة الذرية

١- المنار المجلد الثانى ص ٦٤

و لم يدر وجينيه يحدث هذا الهول الذى عرفته الدنيا. فإذا انفجرت ذرات البحار على هذا النحو او نحو آخر، فإن الادراك البشرى يعجز عن تصور هذا الهول". ١

وإذا نقرأ تفسير سورة الاعلى نتحير كيف برع سيد قطب فى فهم آية القرآن ((سبح اسم ربك الاعلى)) فهو يقول:

"و هذه حقيقة كبرى ماثلة فى كل شيئ فى هذا الوجود ، يشهد بها كل شيئ فى رحاب الوجود من الكبير إلى الصغير و من الجليل إلى الحقير. كل شيئ مسوى فى صنعته، كامل فى خلقته، معد لاداء وظيفته". ٢

ثم يشتاق قلب الإنسان إلى ان يتقلى ايقاء ات هذا الوجود و يتدبر الأشياء بوعى مفتوح و يستخذم الادراك الالهامى لمشاهدة قدرة الله العظيم السارية فى نظام هذا الكون ثم يتفكر فى الطيور و انواعها و كيف تعيش هذه الطيور حسب طريقة الهمها الله اليها و فى الاسماك الموجودة فى أعماق البحار . و فى هذا السياق يقول سيد قطب أن المخترعات الحديثة و الماكينات الجديدة كلها تابعة للنظام الالهى مثل موجودات الارض الاخرى فهو يقول:

"إن التلفون والراديو هم من العجائب الآلية و هما يتيحان لنا الاتصال السريع و لكنا مرتبطون بشأنهما بسلك و مكان". ٣

و كلما نقرأ تفسير المنار نلاحظ أن رشيد رضا لايقيد بوجه عام باقوال المفسرين والعلماء المتقدمين و كذلك يتجنب الأحاديث الضعيفة والمباحث الفنية والعلمية. بل نراه يفسر القرآن بالقرآن بأسلوب رائع ويكشف عن المعانى بعبارة سهلة و يقوم بتوضيح مشكلات القرآن والدفاع عما اثير حوله من الشبهات من قبل الاعداء. و نجد عنده التسامح والفسحة فى المسائله الاجتماعية.

١- فى ظلال القرآن المجلد السادس ص٣٨٣٩ ط-الحادى العشر

٢- " " ص ٣٨٨٤ "

" ص ٣٨٨٦ "

٣- " "

ويتعجب القارئ من اسلوبه العقلى المنطقى الذى اختاره لتوضيح مفاهيم القرآن . و قد اعجبنى خاصة قوله فى تفسير آية سورة البقرة ((و ان كنتم فى ريب مما نزلناعلى عبدنا فأتو بسورة من مثله وادعوا شهداء كم من دون الله ان كنتم صادقين))

فهو يقول دليلا على ان القرآن كتاب الله و كلامه:

"فإن شئت ان تشعر سمعك و ذوقك بالفرق بين نظم الكلام البشرى و نظم الكلام الالهى فأت بقارء حسن الصوت يسمعك بعض اشعار المفلقين و خطب المصاقع المفوهين . المتقدمين و المتاخرين بكل ما يمكن من نغم وتحسين ثم ليتل عليك بعد ذلك بعض سور القرآن المختلفة النظم والأسلوب كسورة النجم و سورة القمر و سورة الرحمن و سورة الواقعة و سورة الحديد - مثلا- ثم حكم ذوقك و وجدانك فى الفرق بينهما فى أنفسها ثم فى الفرق بين كل منها و بين كلام البشر فى كل اسلوب من اساليب بلغائهم و تأثير كل من الكلامين فى نفسك بعد اختلاف و قعه فى سمعك". ١

وهذه حقيقة ساذجة و لايستطيع احد ان ينكرها. فنلاحظ ان عديدا من الكفار و المشركين قد عكفوا لى قراء ة القرآن بسب وقعه الحلو و تشرفوا بهداية الله و رشده.

١ـ المنار المجلد الاول ص ٢٠٠

ملخص القول

إن 'المنار' و 'فی ظلال القرآن' تفسیران للقرآن الکریم البارزان . و لهما امتیازات و خصائص، قد یشارکان فی عدید من الخصائص و علی سبیل المثال کل منهما یقدم الإسلام کنظام للحیاة الإنسانیة و یهتم کلامها بکافة اموره الحیاة الإنسانیة و مشاکلها المستفیضة و یقدمان حلولا لهذه المشاکل فی ضوء الهدایة الربانیة. و فی الحقیقة کل منهما یرید کسر الجمود الفکری والعقلی للمجتمع الإسلامی الراهن. و کلاهما یستلزمان التدبر فی القرآن وآیاته کما یردان علی الشبهات التی اثیرت من قبل اعداء الإسلام ضد القرآن و الإسلام. و لتحقیق هذا الهدف کلاهما یختاران منهجا عقلانیا و اسلوبا منطقیا و یتجنبان الخوض فی البحوث الفقهیة والکلامیة ویصرفان أنظارهما عن الإسرائیلیات والأحادیث الضعیفة و مع هذا کله لرشید رضا قصب السبق فی المنهج العقلانی و من هنا کلما هو یقوم بالبحث الفقهی یختلف عن آراء العلماء و المتقدمین و ینفرد برأیه حتی قیل أنه بعض الأحیان اتخذ مفاهیم لا علاقة لها بالمعنی الحقیقی للکلمات کما نری فی تفسیره سورة النساء آیة :٤٨ . ١

أما سید قطب فهو فرید فی منهجه العلمی الخاص الذی اختاره لکی یتجنب الخلافات الفقهیة و لکی یأخذ المفاهیم الصحیحة من الآیات القرآنیة. و له اسبقیة علی رشید رضا فی الاستدلال بالبحوث العلمیة و

١ـ المنار المجلد الثامن ص ١٤٥ـ١٤٦

التحقيق العلمى الحديث. وفى محاولته للرد على الشبهات و الشكوك فهو يخوض فى عمق المسئلة و يجيب عليها بكل وضوح و تبيان . وينتقد المفكرين الغربيين و المجتمع الغربى المتقدم ولا يوجد ذلك على الاطلاق عند رشيد رضا.

خاتمة البحث

خاتمة البحث

إن تفسير سيد قطب يحتل مكانة ممتازة بين التفاسير التى ألفت فى القرن العشرين و يحتل مكان الصدارة بين الآثار التى خلفها سيد قطب وراء ه. و نصل إلى هذه النتجة بعد البحث والتحقيق لأن الأستاذ سيد قطب قد سرت فى ذهنه وفكرته و فى حياته الروح القرآنى العملى الثورى. وإذا يفسر القرآن يشارك فيه الأحاسيس الطاهرة المشاعر الفكرية وما يخالج فى صدره من الكيفيات عند قرأة القرآن. و كل ذلك أعطاه الإيمان القوى بأن القرآن هو المنهج الصحيح والسديد للحياة البشرية جمعاء فردية كانت او اجتماعية سياسية كانت او إقتصادية روحية كانت او مادية. و نجد أن الفكرة القرآنية بعبارة سهلة و بيان أدبى رشيق يتسرب إلى القلوب.

و له ميزة بارزة أنه لايعتنى بالمسائل الفقهية و ا لخلاف بين المتقدمين و كذلك لا يخوض فى المباحث الكلامية والفلسفية و جميع الإتجاهات الأخرى التى تحجب القرآن عن الإنسان و يحب الإنسان عن روح القرآن. و بفضل هذه الميزة كان سيد يقدر على نقل المعانى القرآنية فى صورة بارزة واضحة بأسلوب القرآن الكريم و الروح الثورى القرآنى. فامتاز أسلوبه بالإشراق البيانى و جمال التعبير و سهولته كما امتاز بأداء المعانى فى صورة حركية بدون استعمال المصطلحات الفنية والعلمية المعقدة. و ذلك لايعنى أنه لم يهتم ببيان ما يحمل القرآن من النقاط البلاغية

و الأدبية. فنراه يهتم بالتناسق الفنى والتصوير الفنى و ترسيم المشهد الذى يعرض القرآن أمام القارئ و عنده هذا من اعجاز القرآن.

و كذلك نجد سيد قطب يبحث عن المسائل العلمية و التطورات التكنالوجية فى العالم الحديث بطريق رائع و ينتقد الفلاسفة والمفكرين الغربين (المتقدمين المزعوم) فى افكارهم على دراسة عميقة و ذلك يؤثر القارى. يجذب الأذهان أسلوب بيانه حين يرد على الشبهات التى أثيرت من قبل الأعداء فيقلعها و يبين حقيقتها.

ولا نبالغ فى قولنا أن تفسير سيد قطب فى ظلال القرآن من حيث الكل حركة قرآنية يزرع فى الناس قوة التدبر فى القرآن و التفكر فى آياتها و معانيها و فيما يحمل القرآن من العجائب والعلوم والحكم.

ملخص البحث

الباب الأول

التفسير فى الإصطلاح اللغوى يطلق عادة على الإيضاح و التبيين. وأعتبرالأقوال فيه عندنا ساقال العلامة الزرقانى بأنه "علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية". و علم التفسير علم ذو فضائل جمّة لإن القرآن واتخذها فى الحياة العملية يفتحان باب السعادةالحقيقية. فالصحابة كانوا ينهلون من منهل الرسول ﷺ مباشرة فى مجالسه. ثم جاء عهد الصحابة فكانوا يستفيدون فى فهم القرآن من الصحابة الذين كانوا أعلم الناس فى مجال القرآن . ثم فى عهد التابعين اكتفى الناس على علم الصحابة و بعد ذلك فى عهد التابعين ازدادت العناية بالتفسير و بعد هذا العصر تدوين هذا العلم جاء ت فى حيز الوجود. الفت التفاسير على أساس الأقوال النبوى والأحاديث الشريفة. و بعد هذا العصر توسعت الإتجاهات التفسيرية. وحتى العصر الأموى اتسعت الدولة الإسلامية و جاء ت ثلاثة مراكز التفسيرية فى حيز الوجود .

١) مركز التفسيرفى مكة.

ب) مركز التفسير فى المدينة.

ج) مركز التفسير فى العراق.

و لكل منها ميزات وخصائص.

والأهم أن العهد العباسى هو العهد الذهبى لفن التفسير حيث جمعت

و دونت الاقوال الماثوره و جاء التفسير بالدرايه مع ا لتفسير بالروايه و تعددت جوانب التفسير و تنوعت اتجاهاته واتسعت آفاقه. مع أن هذا الإتساع والتنوع قدالحق التفسير ببعض الأضرار.

فذكرت فى هذا المبحث المفسرين الكبار و تفاسيرهم التى نالت شهرة واسعة والقبول لدى العلماء وعامة الناس مثل الرازى و الزمخشرى و الطبرى وغيرهم. وايضاً ذكرت آراء العلما ء والباحثين فى هذه التفاسير المؤقرة مع ميزاتها البارزة و خصائصها الأساسية.

و بعد هذا ذكرت التفاسير الشهيرة الهامة التى ألفت بعد العصر العباسى مع ذكر الآراء النقدية من قبل كبار العلماء و الباحثين.

ثم جئت إلى التفسير فى القران العشرين حيث قلت أن التفسير قبل القرن العشرين بقليل ما قد توقفت أم بطأت و المحاولات التى قام بها العلماء فى إبان هذه الفترة كانت شبه تكرار لما سبق فى القرون الماضية. أما فى القرن العشرين فلاحظنا حياة جديدة فى حركة التفسير . فبعض هذه التفاسير يتصف بميزات قلما نجدها عند المتقدمين و على سبيل المثال تفسير العلامة حميد الدين الفراهى مع أنه ليس بكامل بل هو تفسير لجزء قليل من القرآن الكريم. فلم يتمسك الفراهى بالأسلوب التقليدى بل فتح آفاقاً جديدة فى مجال التفسير. و كشف لنا سر إعجاز القرآن بما فى ذلك من نظم الكلام. فهو المفسر الوحيد الذى صاغ له أصولا و قواعد و جعل لبحثه مناهجا ومعالماً.

والثانى هو الأستاذ رشيد رضا تلميذا لأستاذ الشيخ محمد عبده الذى ألف تفسيره تحت عنوان "المنار" و هو تفسير هام و اكثر من ذلك حركة تفسيرية تقوم لفهم القرآن من حيث أنه نظام الحياة للإنسان مع أنه قد رد على شبهات الخصوم و المعاندين بطريق أروع. و كذلك تفسير

الشنقيطى و ابن عاشور الذان قاما بمحاولة رفيعة مع جذب التفات الجيل الجديد إلى القرآن و إسراء الحركة الثورية القرآنية فى قلوب الناس.

الباب الثانى

ولد سيد قطب فى قرية 'موشا' تابعة لمحافظة 'اسيوط' بمصر سنة ١٩٠٦م . نشأ فى أسرة ميسورة الحال. تعلم أولاً فى مكتب القرية ثم فى مدرسة القرية النظامية . بعدانهاء دراسته فى المدرسة النظامية فى عام ١٩١٨م انتقل إلى القاهرة و التحق بمدرسة الثانوية سنة ١٩٢١م . و قد تأخر بسب الثورة المصرية الكبرى حيث اغلقت المدارس لمدة . ثم التحق بكلية دارالعلوم فى عام ١٩٣٠م و تخرج من هنا فى عام ١٩٣٣ حاصلا على شهادة الليسانس فى الأدب مع دبلوم فى التربية. و كان طالبا ممتازا متفوقاً ذو مستوى رفيعة فى النشاطات الأدبية و غيرها.

فى العام ٢٧ من عمره دخل فى مهنة التدريس واستمر يكتب فى الشعر والأدب و الصحافة. ثم انتقل إلى وزارة المعارف فى عام ١٩٤٠م و قام هنا بخدماته إلى ٨ سنين. ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية و قضى هنا عامين. وشاهد المجتمع الأمريكى و ما يعانيه من فسادو خلل و اضطراب. فعاد بغير الفكرة التى ذهب بها والقلب الذى ذهب به. فسفره إلى امريكا كان نقطة تحول لحياته الفكرية.

التحق بجماعة الإخوان المسلمون فى عام ١٩٥١م وقام بخدمات جليلة للإخوان حتى اصبح قائدا فكريا . و بعد الإلتحاق بالإخوان قضى معظم حياته إما فى السجون و إما فى المستشفيات للمعالجة. أو ذى كثيرا فى السجون حتى اعدم بالحكومة العسكرية فى شهر أغسطس سنة ١٩٦٦م و لقى ربه شهيدا فى سبيل دينه.

خلف وراء ه آثارا أدبية ذات أهمية و جيزة فى الشعر والنثر والفكر الإسلامى و ثلاثة دواوين الشعرية. الشاطئ المجهول و قافلة الرقيق و حلم الفجر . فلم يطبع منهم إلا واحدا. و كذلك له أربع مؤلفات فى النقد الأدبى و ثلاث فى القصة:

١) طفل من القرية ٢) أشواك ٣) المدينة المسحورة.

وله آثار ذو أهمية هامة فى الفكر الإسلامى و فى مقدمتها تفسيره فى ظلال القرآن وغير ذلك أهمها مايلى:

التصوير الفنى فى القرآن. مشاهد القيامة. العدالة الإجتماعية فى الإسلام . معركة الإسلام والرأسمالية. المستقبل لهذا الدين . السلام العالمى والإسلام المستقبل لهذا الدين و غيرها.

آثاره فى الأدب و آثاره فى الفكر الإسلامى نالت القبول فى العالم الإسلامى كله.

الباب الثالث

أول ما ذكرت فيه هو موضوع العلاقة بين الإنسان و الكون و بينهما و بين الله. و تحمل هذه أهمية كبرى و مكانة عظمى فى تفسير سيد قطب وقد تحدث عنها فى الأماكن المختلفة شرحا وإجمالا. فللوجود عنده قسمان ، قسم يعلمه البشر و الثانى مالا يعلمه الإنسان و هو أكبر بالنسبة ما يعلمه .و يرى سيد قطب الإنسان ''سيد الأرض'' و ''مستخلف فى الأرض'' و ''مالك لمافيه'' و ''مؤثر فيه'' . و ''هوالكائن الأعلى فى هذا الملك العريض''.

ثم تصوره للإسلام و تعبير المصطلحات مثل 'الدين' و ''الاسلام'' تحتملان أهمية كبرى عنده. و يأخذ الإسلام دينا حركيا انقلابيا. يرشد

الإنسان فى جميع مجالات الحياة . و هذا هو الروح الذى نرى فى تفسيره من البدء إلى الختام.

أما منهجه فى التفسير فهو أيضا منهج فريد جديد. ا ذا يفسر الآيات الربانية يفكر فيها و يدبرها حتى يقف على التعابير الدقيقة. وهكذا هو يقدر على الوصول إلى بدائع الكلام الربانى و دقائقه التى لم يصل إليها الآخرون . و فى نهاية المطاف هو يلقى الضوء على النقاط التى قد مر بها المفسرون الآخرون بدون ادراكها او إلمام بها.

و لقد أبرز سيد قطب افقا آخرا من آفاق البلاغة القرآنية و الأسلوب القرآنى و هو التناسق الفنى او الإعجاز الفنى او التصوير الفنى الزاخر فى الآيات القرآنية . و قد بين هذا التناسق بصورة واضحة فى كتابه الشهير ''التصوير الفنى فى القرآن'' فإنه يرى ان طريقة التصوير هى اجمل الطرق التى يعبر بها . و قد بين هذ االتناسق الفنى العجيب فى الآيات فى كل مكان .

والمهم و الممتاز فى تفسيره هو المناسبة والنظام بين الآيات . و اذا نتأمل فى تفسيره نلاحظ أن صورة المناسبة واضحة فى الآيات و فى كثير من السور و هذا بالرغم من أنه لم يعتن بهذاالعلم اعتناء ا كاملا . مثل الأستاذ حميد الدين الفراهى الذى ضاع الأصول و القواعد لهذا الفن الجليل و كذلك نرى ان التفسير فى ظلال القرآن يجذب القارئ بأسلوبه الأدبى الرشيق . و هذه ميزة بارزة من ميزات تفسير سيد قطب وسيقت الأمثال فى هذه المجال.

وقمت بدراسة بعض المصطلحات الأساسية القرآنية كما وضحت فى تفسيره ' فى ظلال القرآن' مثل التوحيد و الشرك والنفاق.

و بعد ذلك نجد الدراسة المقارنة بين التفسيرين 'المنار' و 'فى ظلال القرآن' .

إن 'المنار' و 'فى ظلال القرآن' تفسيران للقرآن الكريم البارزان . و لهما امتيازات و خصائص، قد يشاركان فى عديد من الخصائص. و على سبيل المثال كل منهما يقدم الإسلام كنظام للحياة الانسانية و يهتم تفسيرهما بكافة امور الحياة الإنسانية و مشاكلها المستفيضة و يقدمان حلولا لهذه المشاكل فى ضوء الهداية الربانية. و فى الحقيقة كل منهما يريد كسر الجمود الفكرى والعقلى للمجتمع الإسلامى الراهن. و كلاهما يستلزمان التدبر فى القرآن وآياته كما يردان على الشبهات التى اثيرت من قبل اعداء الإسلام ضد القرآن و الإسلام. و لتحقيق هذا الهدف كلاهما يختاران منهجا عقلانيا و اسلوبا منطقيا و يتجنبان الخوض فى البحوث الفقهية والكلامية ويصرفان أنظارهما عن الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة و مع هذا كله لرشيد رضا قصب السبق فى المنهج العقلانى و من هنا كلما هو يقوم بالبحث الفقهى يختلف عن آراء العلماء و المتقدمين و ينفرد برأيه حتى قيل أنه بعض الأحيان اتخذ مفاهيم لا علاقة لها بالمعنى الحقيقى للكلمات كما نرى فى تفسيره لسورة النساء آية : ٤٨ .

أما سيد قطب فهو فريد فى منهجه العلمى الخاص الذى اختاره لكى يتجنب الخلافات الفقهية و لكى يأخذ المفاهيم الصحيحة من الآيات القرآنية. و له اسبقية على رشيد رضا فى الإستدلال بالبحوث العلمية و التحقيق العلمى الحديث وفى محاولته للرد على الشبهات و الشكوك فهو يخوض فى عمق المسئلة و يجيب عليها بكل وضوح و تبيان. وينتقد المفكرين الغربيين و المجتمع الغربى المتقدم ولا يوجد ذلك على الاطلاق عند رشيد رضا.

☆☆☆

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١) مباحث فی علوم القرآن لمناع القطان
دارالسعودية للنشر ط -١٩٧١م

٢) مشاهد القيامة فی القرآن لسيد قطب
دارالشروق بيروت

٣) فی ظلال القرآن
دارالشروق بيروت ط -الحادی عشر

٤) التصوير الفنی فی القرآن لسيد قطب
دارالشروق بيروت ط -١٩٩٣م

٥) معالم فی الطريق لسيد قطب
دارالشروق بيروت ط -١٩٧٣م

٦) مناهل العرفان للعلامة الزرقانی

٧) الإتقان فی علوم القرآن للعلامة السيوطی
كتب خانه اشاعت اسلام ، دهلی .٦

٨) صحيح البخاری للإمام البخاری

٩) التفسير و المفسرون للدكتور محمد حسين الذهبی
مكتبه وهبية مصرط -١٩٨٥م

١٠) مقدمة فى أصول التفسير للعلامة ابن تيمية

١١) مقدمة ابن خلدون للعلامة ابن خلدون

مكتبة التجارية مصطفى احمد الباز مكة ط -١٩٩٧

١٢) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى

دار الكتب العلمية بيروت

١٣) المنار للأستاذ رشيد رضا

دار المعرفة بيروت ط -١٩٩٣م

١٤) اتجاهات التفسير فى القرن العشرين للدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومى

دار العلم بيروت ط - اولى

١٥) رائد الفكر الإسلامى المعاصر الشهيد سيد قطب حياته و مدرسة افكاره

ليوسف العظم

دار القلم بيروت ط -اولى ١٩٨٠م

١٦) معركتنا مع اليهود لسيد قطب

الدار السعودية للنشر و التوزيع ، جدة ط -اولى ١٩٧٠

١٧) الأدب الغربى فى آثار الدارسين ليوسف نجم

دار العلم بيروت

١٨) صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر لرجاء النقاش

دار الكتب بيروت

١٩) النقد الأدبى اصوله و منهجه ليسد قطب

دار الفكر مصر ط - ١٩٨١م

٢٠) ديوان سيد قطب ترتيب : عبدالباقى محمد حسين

دار الشروق بيروت

المراجع الأردوية

١) تاریخ افکار و علوم اسلامی راغب الطباخ

ترجمة : افتخار احمد بلخی - مرکزی مکتبه اسلامی، دهلی

٢) جاده و منزل سید قطب

ترجمه : خلیل احمد حامدی ، دارالقرآن الکریم ، دمشق ط -١٩٧٧م

٣) اسلام میں عدل اجتماعی سید قطب

ترجمه: ڈاکٹر نجات الله صدیقی - مرکزی مکتبه اسلامی ط -٣

٤) سید قطب شهید حیات و خدمات ڈاکٹر عبیدالله فهد

و محمد صلاح الدین عمری

منشورات ، لاهور ، پاکستان ط -١٩٩٩م

٥) فی ظلال القرآن (اردو) سید حامد علیؒ

هندوستان پبلیکیشنز ط -٢، ١٩٨٩م

الجرائد و المجلات

١) "رسالة الإخوان" تصدر من لندن العدد (١٣٨) ٧ /مایو ١٩٩٩م

٢) " " " (١٣٩) ١٤ / مایو ١٩٩٩م

٣) " " " (١٤٠) ٢١ /مایو ١٩٩٩م

٤) " " " (١٦٠) ٨ /اکتوبر ١٩٩٩م

٥) "الدعوة" اصدرت من القاهرة العدد (٢١) فبراير ١٩٧٨م

المقال: سید قطب .... مرحلة فی تاریخ الکفاح الإسلامی لصالح العشماوی.

٦) "الدعوة" العدد (٢٢) عدد خاص على مرور ٥٠ عاما على تاسيس الإخوان .

مارس ١٩٧٨م .

مقال سيد قطب : "ماذا يعنى انتمائى للإسلام"

٧) "الدعوة" نفس العدد

مقال: "شخصية مصر التاريخية" للدكتور محمد رشاد خليلى

المفهرس

المفهرس

مقدمة البحث

الباب الأول: تاريخ تفسير القرآن ١-٢٦

الفصل الاول: تعريف التفسير و نشأته ..... ٣ - ٥

الفصل الثانى: التفسير فى عهد الإسلامى الأول ٧-٨

الفصل الثالث: التفسير فى العهد الأموى ..... ١٠ - ١١

الفصل الرابع: التفسير فى العهد العباسى ..... ١٢ - ١٦

الفصل الخامس: التفسير بعد العهد العباسى ..... ١٨ - ٢٢

الفصل السادس : التفسير فى القرن العشرين ..... ٢٤ - ٢٦

الباب الثانى: حياة سيد قطب و اعماله ٢٧- ٤٥

الفصل الأول : حياة سيد قطب ..... ٢٩ - ٣٣

الفصل الثانى: اعماله الأدبية ..... ٣٥ - ٤٢

الفصل الثالث: آثاره فى الفكر الإسلامى ..... ٤٤ - ٤٥

الباب الثالث : دراسة تحليلية للتفسير 'فى ظلال القرآن' ٤٦ - ٩٥

مبدأ البحث ٤٧

الفصل الأول: ماذا يقول المفسر والآخرون عن التفسير ٤٩ - ٥١

الفصل الثانى : رؤية سيد قطب إلى الإنسان و الكون .... ٥٣ - ٥٦

الفصل الثالث: الإسلام كما يفهمه سيد قطب ٥٨- ٦٠
الفصل الرابع: الروح القرآنى ٦٢- ٦٤
الفصل الخامس: دراسة منهجه فى التفسير ٦٦- ٧٨
الفصل السادس : دراسة بعض المصطلحات ٨٠- ٨٥
الفصل السابع: المقارنة بين التفسيرين ... .٨٧- ٩٥

خاتمة البحث ٩٧-٩٨

ملخص البحث .....١٠٠ -١٠٥

المصادر والمراجع ١٠٧-١١٠

المفهرس ١١٢-١١٣